الفلسفة كأطروحة منهجية في مصر الحديثة
منذ أربعينيات القرن التاسع عشر ..
محاولة لرصد البدايات وتتبع النتائج

د. أحمد عزب أحمد

أستاذ المنطق وفلسفة العلوم المساعد

كلية الآداب ـ جامعة حلوان

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

في مقالة من أعمق ما دبجت يراعات فلاسفة الغرب ومفكريهم - من وجهة نظري – بخصوص موضوع العبقرية، ثمة مقولة يحض فيها شوبنهور (١٧٨٨-١٨٦٠م) على التشبث بالأفكار العظيمة واتخاذها متراسًا ونبراسًا حيث يقول : "أقترح أن نتخذ شعارًا تمثله شجرة صامدة؛ في مهب ريح قاسية تهتز أغصانها بعنف، ولكنها تحمل ثمارها الباهرة على كل غصن من أغصانها"[١]. وعلى حد زعم وايتهد (١٨٦١ – ١٩٤٧م) فإن أعظم وأينع ثمار الفلسفة يتلخص في جملة واحدة: كشف الأسلوب العلمي في التفكير؛ ومن ثم يقرر بوضوح: "إن هذا الاكتشاف يُعد انقلابًا – حدًا فاصلاً - حدث في نظر البشر تجاه الكون والحياة"[٢]. ويردف وايتهد موضحًا أن طريقة نيوتن (١٦٤٢-١٧٢٧م) في التفكير ومنهجيته، ربطت بين الناحية الفلسفية الاستنباطية[**]، والناحية التجريبية، وفي طريقة نيوتن قد تآزرت منهجية ديكارت (١٥٩٦-١٦٥٠م) المنطقية الرياضية، مع طريقة فرنسيس بيكون (١٥٦١-١٦٢٦م) الاستقرائية المادية[٣]. فلا مشاحة البتة من تقرير : "إن

(**) الاستنباط : في معجم مختار الصحاح اللغوي "نبط الماء؛ أي نبع و(الاستنباط) أي الاستخراج"، وفي قاموس التعريفات للجرجاني: "استخراج الماء من قولهم : نبط الماء؛ إذا خرج من منبعه، واصطلاحًا : استخراج المعاني من النصوص بفرط الذهن وقوة القريحة (البصيرة والعقل)"، وثمة ملاحظة جديرة بالاعتبار وهي أن استخراج الأفكار من خلال عملية (الاستنباط) أشبه ما يكون بإنباط المياه واستخراجها من باطن الأرض. وذلك ما يدل على أن هناك نوعين من الجهد. الأول : هو الكشف عن أماكن تجمع المياه. والثاني : امتلاك طريقة ووسيلة ومنهجية فعالة لاستخراجها. والأمر نفسه بالنسبة للاستنباط الفكري، فهناك نوعان من الجهد. الأول : الكشف والاهتداء إلى المقدمات الصالحة والمفيدة للقيام بعملية الاستنباط؛ ومن المفترض أنها تكون غير معروفة من ذي قبل، والربط بينها برباط فكري جديد، كما فعل أرشميدس في استنباطه لقانون الطفو من خلال ربطه بين ما حدث له في مغطس الاستحمام (البانيو)، وبين حقيقة معدن التاج الملكي؛ وهل هو من الذهب الخالص أم أُضيفت إليه معادن أخرى بطريق الغش؟ وانتهائه بصياغة قانون الطفو (الكثافة النوعية)، والثاني : هو استخراج النتيجة والقانون، ولذلك سمي العرب والمسلمون هذا العلم: علم إنباط المياه الخفية، وهو عنوان كتاب للرياضي (الكرجي / الكرخي) (توفى ١٠٢٠م)، ومن المعروف أن الكرخي صفة أُلحقت به وتعني : تجميع المياه. وبالتالي فهي شهرة وصفة للمؤلف، ومن الثابت أنه قد كانت هناك أمة من العرب سُميت بالأنباط – قبل البعثة النبوية – وكانت تعيش في صحراء الأردن، برعوا أيما براعة في فن إنباط المياة الخفية، وإليهم تُنسب الحضارة النبطية. وثمة دلالة لا تخفي على كل ذي لب؛ وهي الربط بين فن اكتشاف الحقيقة واستخراجها (الاستنباط)، وبين فن استخراج (على وزن استفعال دلالة على بذل الجهد) المياه من أغوار الأرض. انظر محمد بن أبي زكريا الرازي (اللغوي) – معجم مختار الصحاح – عُني بترتيبه محمود خاطر (بك) – دار الفكر – بيروت ١٩٨٠م – مادة (نبط) – ص٦٤٣. وانظر الجرجاني: التعريفات – حققه وجمعه وقدم له إبراهيم الأبياري – دار الريان للتراث القاهرة ١٩٨٢م - ص٣٨. وانظر جلين وارين بورسوك - الأنباط الولاية العربية الرومانية – ترجمة آمال محمد الروبي – مراجعة محمد إبراهيم بكر – المشروع القومي للترجمة – سلسلة رقم ١٠٦٣ – المجلس الأعلى للثقافة – القاهرة ٢٠٠٦م، وانظر إسرائيل ولفنسون – نشأة اللغة الآرامية ولهجتها (بحث علمي لغوي) – دورية السياسة الأسبوعية - ٢٠ نوفمبر القاهرة ١٩٢٦م – ص٢٥ وما يليها.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

من يطلب الحقيقة ويروم إياها، ولم يسلك منهجًا صحيحًا، أشبه ما يكون بمن يحاول الوصول إلى قمة برج شاهق العلو من غير أن يرتقي إليها بدرجات متعاقبة؛ بعضها في إثر بعض"[٤]. والخلاصة وفقًا لبيكون : إن الأعرج الذي يلتزم الطريق (المنهج) الصحيح، يصل إلى الحقيقة بأسرع من السوي الذي يسير في طريق خاطئ[٥].

فإذا كانت الفلسفة قد جابهت غارات وأعاصير شتى، ولاسيما في عالمنا العربي المأزوم، إلا أنها أبدًا ما اندثرت ولا انطمرت، ولكنها غفت وهجعت في بعض الأحيان، فهيهات هيهات أن تكون الفلسفة نسيًا منسيا لأهل لغة الضاد، كيف يُعقل ذلك؟! ونحن نرتجي منها تلكم الثمرة اليانعة وذلك الدواء الناجع – أعني المنهجية تحديدًا – فمن الثابت أن المنهجية لهي البوصلة المنضبطة التي تقودنا نحو الهدف (الحقيقة)، فبدونها نفقد الاتجاه ونكون هائمين على وجوهنا، ونصارع ظلمات بعضها فوق بعض، إن مددنا أيدينا لم نكد نراها، وخاصة ونحن نخوض هذه البحار اللجج، وأمواجها العاتية تعصف بنا من كل جانب، وأعداؤنا يتدفقون علينا من كل حدب وصوب، حتى صاروا فوقنا وأسفل منا، وأحاطوا بنا إحاطة السوار بالمعصم؛ ولذلك فلا مندوحة البتة من الإقرار بأنه : "إذا اتسع لنا المنهج؛ فيجب الحذر أن يضيق علينا المخرج"[٦]. وبالتالي يتحتم علينا التساؤل :هل وقعنا في الفخ؟ (المحذور)؛ أعني : أننا لم نوازن بمنهجية دقيقة بين المعطيات (المدخلات)، وبين المخرجات (النتائج). أغلب الظن أنه قد حدث ذلك. وحتى نخرج من هذا الواقع المشئوم والفخ المرسوم، والذي حيك بفعل فاعل، ووجه إلى عقل الأمة قبل جسدها طعنة نافذة على أمل انهيار إرادة وعزيمة وتصميم أبنائها فيخروا ساجدين. ومعلوم أن ذلك قد حدث من خلال إستراتيجية (منهجية) ساعدتهم في ذلك، ولا مفر أمامنا من صياغة إستراتيجية مضادة تجمع الأشتات وتحشد الطاقات وتقيل العثرات بنور العقل لا بسراب الترهات – الإستراتيجية والمنهجية من وجهة نظري صنوان؛ وهذا اللون الفكري الدقيق تحديدًا لهو فريضة أمتنا الغائبة –؛ لأنه حتى الآن يمتلك خصومنا خطة محكمة ودقيقة في مقابل عدم امتلاك الأمة لأية خطة (منهجية)، ولا حتى نواة محدودة لصياغة خطة؛ وبالتالي صارت معادلة الصراع كالآتي : خطة دقيقة (لأعدائنا)، في مواجهة لا خطة (لدى الأمة)، ولنا أن نتخيل نتيجة الصدام بين التنظيم الدقيق والمتقن، وبين الفوضى والعشوائية، وإنه لمن العجب العجاب، أن أمة قد صالت وجالت بطول التاريخ وعرضه، تواجه صراع البقاء والفناء في ظل هذه المعادلة المجنونة. إذا لم يكن هذا هو اللامعقول بعينه؟ فما هو يا تُرى اللامعقول إذن؟! ويتبقى سؤالاً بدهي (بديهي) يقول : كيف فرض علينا عدونا هذه المعادلة؟ أو بالأحرى كيف استُدرجنا إلى هذا الفخ؟

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وسيتضح أن ذلك قد صار في المتاح والإمكان بامتلاك عدة مقومات ومن خلال عدة تقانات (تقنيات) منهجية ابتكرها مفكرو الغرب، ومن بينهم المفكر الإسباني الرائد بلتازار جراتسيان(*) مُلهم الأوربيين بصفة عامة والألمان على وجه الخصوص، المبتكر لمنهجية سيبراتورا : أي القدرة على جعل الصعب يبدو سهلاً، وتلكم التقنية لهي أحد أهم قواعد منهج التفكير الهورستيكي(**)، وأتُفق على تسمية هذه المنهجية الأثيرة والمفضلة بقاعدة : بساطة الحل.

ومن الجدير بالذكر أنه في كثير من الأحيان يتضح لنا أن المشكلات المعقدة جدًا لها حلول في غاية البساطة، فعلى سبيل المثال : في مواجهة المشكلة العويصة الخاصة بحرائق الغابات وتدمير آلاف الهيكتارات (الأفدنة) من الغابات والأشجار، فلقد اهتدى أحد العباقرة لفكرة يمكن من خلالها التصدي لحل هذه المشكلة، وينطلق هذا الحل من فكرة بدهية، وقاعدة تنص على "أن النار تأكل نفسها – تتلاشى -؛ إن لم تجد ما تأكله". فعن طريق إجراء عملية تحليل شامل لجوانب المشكلة وفهم أسبابها، يتضح أن اشتعال النار ذاته يرجع إلى عدة أسباب من أهمها: وجود الهواء الجوي ذاته الممتزج بغاز الأكسجين المساعد على الاشتعال، وهذا العامل يستحيل تحييده، لاستحالة منع وعزل الهواء الجوي، والعامل الآخر يتمثل في توافر الأشجار والنباتات الجافة، فضلا عن أشجار الغابة ذاتها؛ وهذا العامل يمكننا التحكم فيه وعزله، ولكن السؤال المطروح هنا : كيف يمكننا ذلك؟ والإجابة : أن هذا يصير في المتاح والإمكان من خلال إشعال حريق صغير؛ لنواجه ونتفادى به الحريق الهائل الكبير. فعن طريق استباق الحريق، بافتراضنا أن النار وصلت

(*) بلتازار جراتسيان (١٦٠١-١٦٥٨م) : أحد أشهر المفكرين الإسبان في القرن السابع عشر؛ تُرجمت أعماله إلى معظم اللغات الأوروبية، ووضع خلاصة آرائه في الحياة والآداب في كتاب أسماه : السيد كامل الصفات (العبقري) The Complete Gentile Man، وله كتاب آخر عن البطولة Heroism. انظر شوبنهور – مختارات شوبنهور (من الأدب) – إعداد بيلي سوندرز – ترجمة شفيق مقار – مراجعة عبد الحميد الإسلامبولي – الدار القومية للطباعة والنشر – القاهرة – دون تاريخ – ص١٦٧.

(**) المنطق الهورستيكي Heuristic Lgoic : وهو أحد أهم التقنيات المنهجية الأثيرة في القرن التاسع عشر والعشرين لدى المفكرين الغربيين؛ وعن طريقه يتم الاهتداء إلى حلول المشكلات العويصة بطريقة بسيطة ومختصرة جدًا، ولقد ابتدأ هذا اللون والنشاط الفكري بداية رياضية، للحصول على حل المعضلات العويصة بطريقة مبسطة؛ وسائر مناحي الحياة. فعلى سبيل المثال: يقدم لنا المنطق الهورستيكي إجابة لسؤال عويص يقول : كيف يمكن لزوج كفيف يجلس في المقعد الأمامي للسيارة بجوار زوجته وأثناء قيادتها للسيارة أن يخبرها بثقة أنها تسير في الطريق الخطأ؟ وغير ذلك من الموضوعات؛ ويهيب كاتب هذه السطور بضرورة توجيه العناية إلى هذا اللون الفكري المنهجي؛ لما له من ثمار وآثار مفيدة جدًا في الواقع الحياتي المعيش. انظر:

G – Polya – How To Solve It? - Princeton University Press Published – New Jersey, U.S.A. 1957.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

منطقة ما، ولتكن النقطة (أ)، وما يلي هذه النقطة خالٍ تمامًا من أية أشجار ونباتات وحشائش لأنه تم إحراقها – من خلال الحريق الصغير – فأي شئ سوف تلتهمه النار؟ الإجابة بالقطع لاشئ. إذن سيتوقف اندفاع النار، ومن الملاحظ أن القطاع الذي سوف يتم تحديده قبل إحراقه، ويكون ذلك من خلال الأخذ في الاعتبار عوامل الطقس (اتجاه وقوة الرياح)، ومن ثم يتم تحديد طول ومساحة الحريق الصغير الذي يشكل منطقة عازلة. أليست هذه عبقرية في مواجهة الحريق بحريق، واستخدام النيران كمنطقة عازلة؟!، إنه العقل ولاشئ سوى العقل(*). وعوامل الطقس وما شاكل تعد من بين معطيات ومقدمات الحل تمهيدًا لبلوغ الهدف، وهو توقف قوة النيران المندفعة، وانطفاء الحريق من تلقاء نفسه، أو إضعافه والسيطرة عليه على أقل تقدير(٧). أيها الناس : إن الفلسفة منذ زمن غادرت أبراجها العاجية، والتحمت بواقع البشر، باحثة بكل دأب عما يجعل في مقدورهم التنبؤ (الاستشراف)(**) تمهيدًا للتحكم والسيطرة على الظواهر الطبيعية، فما اختراق الإنسان لحاجز الجاذبية الأرضية وارتياد (غزو) الفضاء إلا مثالاً باهرًا على ذلك.

(*) العقل : لغة أي القيد، عَقِلَ الشئ أي صار مسيطرًا عليه لأنه قيده، مثلما يقيد الإنسان دابته، ومن ثم يصبح متحكمًا فيها، ولقد حضنا الرسول صلى الله عليه وسلم على إعمال العقل حيث يقول في حديث شريف : "الجنة مائة درجة تسعة وتسعون منها لأهل العقل وواحدة لسائر الناس". انظر أبي إسحق الكتبي (ابن الوطواط) – الغرر (الخصائص) الواضحة وعرر النقائص الفاضحة. هيئة قصور الثقافة – سلسلة الذخائر – سلسلة ٢١٥ – القاهرة ٢٠١٢م – ص٨١. ويتفرد أبو التعليم المصري على باشا مبارك برواية يقول فيها: "وقد جاء أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر كاتبه زيد بن ثابت بتعلم اللغة السريانية وتعلم قراءتها وكتابتها. وجاء في الحديث الشريف : الحكمة ضالة المؤمن فليأخذها حيث وجدها ... وفي الحديث الشريف : من علم لسان قوم أمن مكرهم (شرهم) ... وجاء في الحديث الشريف : اطلبوا العلم ولو في الصين. ومعلوم أن أهل الصين كفار، وفوائد تعلمنا للغة هؤلاء القوم غير منكورة، فإنه بذلك يتيسر لنا الإحاطة بما وصلوا إليه من الفنون والصنائع الكثيرة المنافع، وذلك لأننا بواسطة معرفة لغتهم يتأتي لنا فهم واستطلاع ما عندهم، والوقوف على ما لهم في تلك الفنون والصنائع من الكتب والوسائل العديدة؛ ثم نختار منها ما نراه نافعًا لبلادنا ولازمًا لنا. (انظر على باشا مبارك – قصة عَلَمْ الدين – الجزء الأول – المطبعة الأميرية – القاهرة – ١٨٨٤م، ص٧٨).

(**) الاستشراف Prospective : هو ذلك المنهج الذي يُعد ثورة حقيقية في التفكر، يفيد أن الإنسان يعتزم أن يكون فاعلاً في التاريخ؛ لا مجرد تابع، وأن يُعنى بقدرته على تحويل مجرى الأحداث قبل فوات الأوان، والتحكم في مسار مستقبله من خلال صياغته وفق إرادته الواعية الحرة ورؤيته المبصرة العميقة، وعلى هذا فمنهج الاستشراف يقودنا إلى علم قد تشكلت أبعاده في الغرب وهو علم المستقبل، فليس المستقبل مكانًا نذهب إليه بل ما نصنعه نحن بأيدينا وفقًا للرؤية المستقبلية The Received View، فالمستقبل يجب أن يكون وفقًا لرؤية صحيحة مشروع مرغوب فيه – كلمة مشروع Project مأخوذة من الأصل اللاتيني Pro-Jeter وتعني الرمي إلى الأمام – أي الاتجاه بطريقة مفيدة وصائبة إلى الأمام. وعلى هذا فإن الاستشراف هو استباق في الفهم، ويجب لفت الانتباه بضرورة التفرقة بين عدة مصطلحات مثل الاستبصار Clairvoyance والاستبطان Introspection، وبالتالي سنجد أنفسنا بصورةٍ أو بأخرى لا مفر لنا من النظر إلى عمومية الموضوع – شمولية المعرفة – أو ما يعرف بالمنهج الكُلاني Holism، وبذلك ننتهي إلى حقيقة مفادها :

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وإذا أردنا تمييز التفكير الفلسفي وأرومته الإبستمولوجيا ومناهج البحث، عمّا عداه من معارف البشر وعلومهم، فإننا نعتقد أنها في الأغلب الأعم هي المحاولة المستميتة للوصول إلى الجذر الأول – العلة الأولى – للموضوع قيد الدراسة؛ وهذا يتطلب منا الإلمام بكافة الجوانب – ضروري جدًا لدارس الفلسفة النهم أن يكون مثقفًا؛ لأنه بدون هذه الثقافة يتعذر عليه الغوص في الأعماق-، وحتمًا فإنه لكي نتعمق رأسيًا بهدف الوصول إلى (العلة الأولى للموضوع قيد البحث)، فلابد أن نستعرض أفقيًا (ثقافة وموسوعية المفكر والفيلسوف بخصوص موضوع الدراسة) وهذا ما أستطيع أن أصوغ له - من وجهة نظري – قاعدة تنص على التالي: إن متلازمة التوسع الأفقي (الثقافة والإحاطة) شرط للتعمق الرأسي (التحليل)؛ فالجذر الأول هو هدف التحليل، وبالتالي نقتحم دروب ومتاهات التشعب والتعدد، بل وحتى التشظي، وذلك من خلال تسلحنا بخريطة وبوصلة منهجية دقيقة تقودنا في هذه السراديب المتشابكة، فحتمًا سننتزع وجهة نظر خاصة بنا، وهذه الوجهة من النظر قابلة للتعديل والتبديل بإضافة معارف جديدة، فاكتشاف هذه الدروب الجديدة يعقبه بالطبع صياغة وجهة نظر مبتكرة، وعلى هذا فإن الفلسفة بشمولية منهجها التي يمكن لها أن تتعامل مع كل الأبعاد وليس البعد الواحد – نظرة البعد الواحد تكون أحياناً صحيحة، ولكنها حتمًا تظل منقوصة، ونستطيع أن نقول لصاحبها : عرفت شئ وغابت عنك أشياء-، وهذه الموسوعية تنقب في الأصول وكذا الغياهب والمجاهل، ولديها أدواتها (مناهجها)، لربط هذه الحقائق عن طريق صهرها، وبالتالي يتم تدشين وجهة نظر جديدة كل الجدة، وأنت قادر على تغيير هذه الأرومة المنصهرة؛ من خلال إضافة معارف جديدة، ليتم مزجها بهذا المركب الفكري المتجانس (التراكم المعرفي وازدياد رصيد الخبرات والممارسات).

وبالتالي يحدث الارتقاء من هذا وذاك - مجموعة القواعد ومجموعة المعارف والفكرة الملهمة - إلى الحل، وما قصة حصان طروادة بخافية عنا، فعن طريق تقنية مبتكرة - وقدة الذهن Einfall بالألمانية- وبسيطة جدًا، استطاع الجيش الأثيني أن يتجاوز تحصينات طروادة الرهيبة ودك معاقلهم، بعدما كاد اليأس أن يسيطر على الجميع.

المستقبل ثمرة لما ندركه وما نفعله، وفي الوقت ذاته ثمرة لما لا ندركه - عدم الفهم-، وما لا نفعله. (انظر قاسم حجاج – أهمية صناعة المؤشرات في الاستشراف الإستراتيجي مدخل معرفي منهجي – ضمن دورية استشراف – الدوحة ٢٠١٦م – ص٤٦ وما بعدها). و(انظر ويندل بل – الدراسات المستقبلية وفلسفة العلم الحديث – سلسلة أوراق – رقم ١٦ – مكتبة الإسكندرية ٢٠١٦م – ص٦٥). و(انظر ميشيو كاكو – فيزياء المستحيل – ترجمة د. سعيد خرفان – سلسلة عالم المعرفة – رقم ٣٩٩ – الكويت ٢٠١٣م). و(أنظر ميشيو كاكو – فيزياء المستقبل – ترجمة د. طارق راشد عليان – مدينة الملك عبد العزيز للعلوم والتكنولوجيا – الرياض ٢٠١٦م).

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وبذلك فإن منهجية التفكير الصحيح تبدأ بفكرة ملهمة، تحدد لنا معالم الطريق وعوائقه، وبالتالي يتم تعديل الخطوات والإجراءات المنهجية حسب المستجدات الطارئة– المرونة في ضوء الحفاظ على الهدف - وتنتهي بحل المشكلة قيد البحث والحصول على المطلوب. وهذا ما يفسر لنا لماذا تسمى درجة الدكتوراه في أي تخصص علمي، بدرجة دكتوراه الفلسفة (Ph.D)، حتى وإن كان هذا التخصص منتميًا إلى العلوم الطبيعية، أو التطبيقية. وذلك لأنه يشترط في البحث - ومن بين أهم هذه الأبحاث درجة الدكتوراه بالطبع-، امتلاك الباحث لتقنيات منهجية صحيحة؛ انطلاقًا من قاعدة صحيحة مفادها : إن الحقيقة الصائبة تُنتزع من خلال منهجية دقيقة. ولذلك فإن المناهج لهي الشباك التي نصطاد بها الحقائق والنتائج الواضحة[٨]، وبالتالي فإنه بدون هذه الشباك (الأدوات) يستحيل اصطياد الحقائق، وعلى هذا الأساس فالحقيقة العلمية، والمنهجية الدقيقة هما قرينان لا يفترقان[*]؛ وإن شئنا الدقة من القول فهما أشبه بوجهي العملة الواحدة، التي لا يمكن لنا النظر إليها من خلال وجه واحد فقط، بل هي في جوهرها عبارة عن هذا وذاك.

يقول جاوس (١٧٧٧ – ١٨٥٥م) عالم الرياضيات الألماني الشهير "ما يجعل منك عالمًا حقًا ليس هو امتلاكك للمعرفة ... وإنما طريقك (منهجك) للوصول إليها ... لابد لقاهر العلوم – يقصد الذي فك شفرتها -، وهاضم المعرفة، أن يكون غازيًا متعطشًا، لا يعرف الانتظار لنفسه طريقًا، ولا الراحة لنفسه سبيلاً، فكلما سقطت قلاع مملكة تحت ضربات سيف بحثه وتنقيبه، وسنابك أفراس عبقريته تراه سرعان ما يهب ويغزو ليدك مملكة أخرى"[٩]؛ وإذا انتقلنا إلى الرياضيات Mathematics ملكة العلوم المتوجة، سيتضح أن الكلمة اليونانية Mathema تعني التأمل والمعرفة والإدراك ونفاذ البصيرة[١٠]. ومن ثم فإن انتزاع الحقيقة العلمية بواسطة الوسائل والطرق المنهجية، لهي من الأعمال الشاقة والمجهدة التي تحتاج إلى عبقرية وألمعية وقدرات خاصة، هي في أغلب الأحيان عنصر حاسم لانتزاع هذه الحقائق.

ومن المسلم به أن الموضوعية العلمية -الحيادية- لهي أخص خصائص المنطق ومنهج التفكير العلمي؛ لذا فمن المعروف أنه بعد نشر كتاب نيوتن[*] : المبادئ الرياضية

(*) انظر خُطب رؤساء مجمع تقدم العلوم البريطاني ١٨٩٥ / ١٩٢٧م – ضمن ملحق دورية المقتطف بعنوان: العلم والعمران – مطبعة المقتطف والمقطم – القاهرة ١٩٢٨م – يشتمل على فصول بُسطت فيها قواعد العلوم الطبيعية الحديثة وارتباطها بالمبادئ الفلسفية، وما لها من الشأن الخطير في تثقيف العقول وترقية العمران – ص٥٧.

(*) يعتبر القانون الأول لنيوتن والذي ينص على التالي: "يظل الجسم على حالته من حيث السكون والحركة، ما لم تؤثر فيه قوة خارجية" منقول كما هو بالضبط عن كتاب التنين (اللفياثان) لهوبز. (انظر توماس هوبز –

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

للفلسفة الطبيعية Philosophiae Naturalis Principia Mathematica، بوصفه أحد أهم مؤلفات البشر قاطبة، وثار جدل خارج بريطانيا وخاصة في فرنسا من لدن أنصار ديكارت حول أفكار نيوتن وقاوموها أشد مقاومة، حتى حسمت الأكاديمية الفرنسية للعلوم بالموافقة على الاحتكام إلى الحقائق التجريبية المادية وليس إلى الأطروحات النظرية، ولذلك أوفدت هذه الأكاديمية بعثتين إلى المنطقة الأولى وهي : المنطقة القطبية الشمالية في السويد، والمنطقة الثانية : وهي منطقة خط الاستواء. وذلك للقيام بقياسات جيوديسية(**) لتقرير إذا كانت الأرض مسطحة في القطبين كما تنبأ نيوتن، انطلاقًا من نظريته في الجاذبية والتثاقل Gravitation أو في خط الاستواء كما تنبأ ديكارت، ولقد نُفذت خطة البعثة بحذافيرها فيما بين عامي ١٧٣٦ – ١٧٣٧م بإشراف عالم الرياضيات موبرتوي (١٦٩٨ – ١٧٥٩م)، واستنادًا على القياسات الجيوديسية ثبت باليقين القاطع أن الأرض كانت مسطحة في القطبين، وأن نيوتن كان على حق، وأيدت هذه النتيجة في ١٧٤٥م بعثة أخرى(١١)، ولقد تُرجم كتاب نيوتن في المبادئ المذكور آنفًا إلى الفرنسية، وأضاف إليها فولتير (١٦٩٤ – ١٧٧٨) مقدمة تاريخية بعنوان : حول فيزياء نيوتن Sur La Physique de Newton –(١٢).

تأصيل لبدايات المشروع الفلسفي في مصر الحديثة :

ربما يكون من الجائز القول : إن قرن العظمة الفكرية والعلمية في مصر هو القرن التاسع عشر، ولا سميا عقب البعثات العلمية التي ما لبثت تترى وتتوالى صوب أوروبا منذ ثلاثينيات القرن التاسع عشر، وحتى ثلاثينيات القرن العشرين، ومن المعروف أن البعثات التي تم إيفادها إلى الأقطار الأوروبية، كانت بهدف بناء الدولة الحديثة؛ ومن ثم فلقد كانت تخصصات طلاب البعثات ذات طبيعة علمية تطبيقية في المقام الأول، كالطب والهندسة والصيدلة والبيطرة والتجارة والمحاسبة وسائر الصناعات كصناعة المدافع والسفن وما شابه ذلك، فلقد كانت أوروبا تنظر إلى الفلسفة في هذه الفترة، إبان القرن التاسع عشر، نظرة ذات بعد نفعي تطبيقي، فالفلسفة المادية الحسية في إنجلترا هي المسيطرة، والوضعية في فرنسا تشكل المعادل والمكافئ للمادية الإنجليزية. وهذا قد

اللفياثان الأصول الطبيعية والسياسية لسلطة الدولة – ترجمة دينا حرب، وبشرى صعب–تقديم د. رضوان السيد–هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث – الإمارات ٢٠١١م–ص٢٦).

(**) الجيوديسيا (شكل الأرض) : هو ذلك الفرع من الرياضيات والذي يرتبط بعلاقة وثيقة بعلم الطوبولوجي، ونعني به قياس المرتفعات من الأرض عن طريق إرجاعها إلى إحداثيات رياضية ثابتة؛ ومن المعروف أن مستوى سطح البحر هو المرجعية الثابتة لقياس الارتفاع والانخفاض عن سطح الأرض. (انظر بطرس عوض الله – المساحة المستوية والجيوديسيا – مكتبة الأنجلو المصرية – القاهرة ١٩٥٢م).

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

انعكس بدوره على فهم طلاب البعثات حيال موضوعات الفكر بصفة عامة والفلسفة بصفة خاصة، فمصر إبان محمد على تبحث عن التطبيق وأوروبا وجهة الدراسة تعلي من شأن كل التقنيات والتطبيقات العملية"، وعلى هذا فإن مناهج البحث كانت القاسم المشترك بين الرغبة المصرية والبيئة الأوروبية.

والذي يهمنا هو موقع الفلسفة ودورها، وحدود هذا الدور في تلك الفترة التي انبلجت فيها شمس مصر الحديثة. فمثلاً يذكر الأمير عمر طوسون[*] (١٨٧٢-١٩٤٤م) في كتابه المهم عن البعثات العلمية إلى أوروبا بداية من عصر محمد على (١٧٦١ – ١٨٤٨م) حيث يقول في معرض حديثه عن أساتذة طلاب البعثة السادسة إلى برلين بداية من ١٨٥٣م؛ فيشير إلى أن أحد الأساتذة وهو دكتور بالفلسفة – مسيوماهن – كان يُدرس الفلسفة للمبعوثين[١٣].

وفي كتاب السان سيمونيون في مصر[*] (١٨٣٣-١٨٥١م) المترجم إلى العربية

(*) الأمير عمر طوسون بحاثة وعلامة له مؤلفات تعد أركان راسخة في الثقافة والتاريخ المصري في القرن العشرين، نذكر من ضمنها:

١- مالية مصر من عهد الفراعنة إلى الآن – الإسكندرية ١٩٣١م، وتم إعادة طباعته في مكتبة مدبولي – القاهرة ٢٠٠٠م.

٢- البعثات العلمية في عهد محمد على ثم في عهدي عباس الأول وسعيد – الإسكندرية ١٩٣٤م. وأعادت دار الآداب طباعته في القاهرة ٢٠٠٩م.

٣- أطباء بعثات محمد على – دورية الهلال – القاهرة ١٩٤٠م.

٤- الأورطة المصرية والسودانية في حرب المكسيك – الإسكندرية ١٩٣٣م. ومساعدة الجيش المصري لفرنسا في حروبها بالمكسيك وإحراز هذه الأورطة (الكتيبة) لانتصارات باهرة، إبان حكم محمد على.

(*) سان سيمون (١٧٦٠-١٨٢٥م) وهو شخصية فريدة في بابها واسعة النشاط والفكر العلمي لدرجة يندر أن نجد لها مثيل، فمؤلفاته تقدر بالعشرات في كل ناحية من نواحي الفكر والعلم، فمر في كل مراحل حياته بتطورات عديدة، فبدأ حياته عالمًا، ثم كتب بلسان رجل الأعمال والصناعة، ثم نراه يتحدث بلسان الطبقة العاملة؛ فهو ينتمي إلى أسرة عريقة وكان نبيلاً ومهندسًا ومغامرًا (أول من فكر في تطبيق حفر مشروع قناة السويس واقترح مشروعها على محمد على) وكان يؤمن إيمانًا كاملاً بمبدأ الإنسانية، وإيمانه ينطلق من أن شئون الحكم يجب أن تسند إلى العلماء لا إلى الساسة وهناك ثالوث كان إيمانه به مطلقاً (العلم والحرية والإنسانية)؛ ومن أشهر مؤلفاته كتاب إعادة تنظيم المجتمع الأوروبي La Reorgansation de La Societe Europeanne؛ ويرى أن من يجب أن يتولى شئون أوروبا هم التجار والعلماء، والقضاة والإداريين؛ ولقد كان يرى أن التقدم يعني تحقيق ما أسماه الكمال Perfectionism ومن المعروف أن السان سيمونيين نفذوا مشروعات عدة في مصر زراعية وصناعية، وأشهرها مشروع القناطر الخيرية. ولقد نشر د. طلعت عيسى وثائق بأسماء أربعة وخمسين من أتباع سان سيمون نفذوا هذه المشروعات في طول مصر وعرضها. (انظر د. طلعت عيسى – سان سيمون – سلسلة نوابغ الفكر الغربي – سلسلة ١٤ – دار المعارف – القاهرة ١٩٥٩)، و(انظر كذلك فيليب رينيه – السان سيمونيون في مصر ١٨٣٣/١٨٥١م ترجمة أمل الصبان، وأنور مغيث، ودواليا الطوخي – مراجعة د. أنور مغيث – تقديم أمين فخري عبد النور - المشروع القومي للترجمة – سلسلة رقم ١٦٢٧، القاهرة ٢٠١١م).

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

يذكر المؤلف أن محمد بيومي أفندي (١٨١٠-١٨٥٢م) تلقى بعض المحاضرات على يد الفيلسوف الفرنسي أوجست كونت (١٧٩٨-١٩٥٧م)، وتم ترشيحه للفيلسوف إميل دوركايم (١٨٥٨-١٩١٧م)، وبالفعل توجه إلى لندن بخطاب توصية من أوجست كونت؛ والأمر نفسه بالنسبة لمحمد مظهر أفندي (١٨١١-١٨٧٣م)، وبطبيعة الحال من غير الجائز منطقيًا أن يكون كل من محمد بيومي أفندي، ومحمد مظهر أفندي قد تتلمذا على يدي كونت، ودوركايم، ولا يكون هناك أثر للاتجاه والمنهج الوضعي، والاستقراء المادي التجريبي في كل منهما؛ وعلى هذا الأساس فلقد شكلا الاثنين بالإضافة إلى آخرين امتدادًا للاتجاه السان سيموني في مصر، ومعروف أن أتباع سان سيمون الفيلسوف الفرنسي الذي كان لهم أثر كبير في النخبة الفكرية وطلائع النهضة في مصر قد التقوا بمحمد على وحاولوا إقناعه بجدوى مشروع قناة السويس(*)، ومن الثابت أن هؤلاء السان اسيمونيين الملتزمين منهجيًا بالفلسفة الوضعية قد نفذوا مشروعات كثيرة في مصر؛ ولاسيما مشروع القناطر الخيرية، فالسؤال الذي يطرح نفسه : كيف للذاكرة الجماعية للنخبة المصرية، أن لا تعطي المساحة الكافية المستحقة في الوعي لأثر هؤلاء النفر في تشكيل الهوية المصرية؟ فلاشك أن العلم والبحث العلمي المادي الذي يهتم بحل مشكلات الناس أملاً في الوصول إلى تلبية المطالب والحاجات كهدف لا بديل عنه، ومن ثم، لا أبالغ إذا قلت إن الوعي في تلك الفترة بالفلسفة كان نافذاً إلى الأعماق؛ محددًا وجهته ومواليًا شطر منطق ومنهج التفكير العلمي؛ الذي لا يمكن البتة الفصل بينه وبين الفلسفة، وبالتالي كانت الحاجة إلى الفلسفة، لرسم وتشييد معالم الطريق. باختصار : فإن النظر إلى الفلسفة بوصفها بوصلة منهجية منضبطة، وهذا التحديد هو الذي نطالب بالعودة إليه الآن، ولا بديل لنا عن ذلك.

ويذكر العلامة جميل صليبا، كتاباً في الفلسفة صادر سنة ١٩٠٠م لصاحبه أحمد نصار مدرس اللغة العربية في مدرسة اللغات الشرقية ببرلين(**) وعنوانه : "المباحث

(*) يشير نوبار باشا (١٨٢٥-١٨٩٤م) في مذكراته لواقعة طريفة، ورغم أنها لا علاقة لها بالمنهج العلمي الصائب، إلا أنها تثير الأشجان والهموم، فيقول بخصوص قناة السويس "إن الفرعون نخاو خطرت له فكرة وصل البحرين عن طريق شق قناة، واستشار أولاً كاهنة معبد دلفي اليونانية، وتخلي عن مشروعه بعد أن جاءه رد كاهنة المعبد : بأن هذا العمل ستكون نتيجته تسليم البلاد إلى البرابرة". (انظر نوبار باشا – المذكرات – مقدمة وملاحظات ميريت بطرس غالي – ترجمة جارو روبير طبقيان – مراجعة د. إلهام ذهني – تقديم ودراسة وتعليق د. لطيفة سالم – دار الشروق – القاهرة ٢٠٠٨م – ص٢٠٥. وانظر كذلك هيرودوت – المصدر السابق – ص٢٩٢).

(**) ربما لا يعرف الكثيرون بأن بعض الرواد من المصريين كانوا يقومون بإلقاء الدروس في جامعات أوروبا في القرن التاسع عشر، ونذكر منهم الشيخ محمد عياد الطنطاوي (١٨١٠-١٨٦١)، فلقد سافر إلى روسيا بدعوة من القيصر نفسه ليدرس في جامعة بطرسبورج في عام ١٨٤٠م، ومن المعروف أن القيصر؛ تقدم بطلب إلى محمد على لترشيح أحد المصريين ليتولى تدريس اللغة العربية وقواعدها وآدابها في جامعة

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الحكمية في أحوال النفس وتربية القوى العقلية". ولكن للأسف الشديد فإن استشراف جميل صليبا لمستقبل الفلسفة العربية ومنها المصرية لم يكن صائبًا حيث يقول: "هلال الفلسفة العربية الحديثة الذي وُلد في النصف الأول من القرن التاسع عشر، سيصبح في النصف الثاني من القرن العشرين بدرًا ساطعا"[١٤]. فلم يكن يتوقع أكثر المتشائمين أن يتم الاختلاف على هدف الفلسفة في عالمنا العربي، فبالرغم من تحديدها بكل دقة في بدايات القرن التاسع عشر على أنها المنهج المتعمق في الأغلب الأعم، فإنه في نهاية القرن العشرين لم يتم الاتفاق على تحديد معين ومرتجي محدد نرومه من أم العلوم[*].

الثقافة العلمية (فلسفة العلوم) عند على باشا مبارك (١٨٢٤ ــ ١٨٩٣م) :

وإذا انتقلنا إلى أبو التعليم على باشا مبارك فله قصة (رواية) تعتبر الأولى في تاريخ الأدب العربي الحديث أسماها : عَلَمْ الدين– اسم شخص وهو بطل الرواية – وصدرت في عام ١٨٨٢م؛ ويقع الكتاب في أربعة مجلدات تشغل ألف وخمسمائة صفحة، وفي هذا الكتاب حاول على مبارك المقارنة بأسلوب رائق أنيق بين حضارة الغرب في فرنسا وإنجلترا، وحضارة الشرق ممثلة في مصر[١٥].

بطرسبورج، وأرتقى بالعمل في الجامعة لدرجة جعلته أستاذ كرسي اللغة العربية في تلك الجامعة في عام ١٨٤٧م، وعلى يديه تتلمذ معظم - إن لم يكن كل – المستشرقين الروس؛ ومن المعروف أنه قد توفى ودفن في روسيا. (لنظر إغناطيوس كراتشكوفسكي - حياة الشيخ محمد عياد الطنطاوي – ترجمة كلثوم نصر عودة – مراجعة وتحقيق وتعليق عبد الحميد حسن، محمد عبد الغني حسن – المشروع القومي للترجمة – سلسلة رقم ١٧٧٢ – المجلس الأعلى للثقافة – القاهرة ٢٠١٣م – ص١٩ حتى ص٢٣). وكان المصري روفائيل موناكيس؛ مدرس العربية لشامبليون في مدرسة اللغات الشرقية، وإلياس بقطر القبطي الذي خلفه في المنصب، ومعد قاموس عربي (بالعامية) /فرنسي استكمله بعد وفاته كوسان دي برسفال والسوري بازيل فخر القنصل الفرنسي في دمياط، والذي كان المحرك الحقيقي لحركة الترجمة المصرية. (انظر:

The First Egyptian Student Mission to France Under Muhammad Ali, Middle Eastern Studies, Vol. 16, No.2, Special Issue on Modern Egypt, Studies in Politics and Society (May, 1980), PP.1-22).

(*) الفلسفة بالمعنى العملي التطبيقي ليس غريباً على الثقافة العربية قديمها وحديثها. حيث يقول الجرجاني: "الفلسفة (الحكمة) العلم مع العمل". (انظر الجرجاني – التعريفات - ص١٢٣). ويقول التوحيدي: "العلم والعمل حدا الفلسفة". (أبي حيان التوحيدي – المقابسات – شرح وتحقيق حسن السندوبي – سلسلة مكتبة الأسرة – القاهرة ٢٠٠٦م – ص٢٦٦). ويقول جول سيمون – أحد السان سيمونيين – الذين كانوا لهم أثر لا تخطئه عين في طلائع النهضة والتحديث في مصر: "الفلسفة لا تخاطب إلا الذين يعرفون الاستدلال .. لا توجد الفلسفة في كل عقل عاجز عن الاستدلال". (انظر جول سيمون – الواجب – الجزء الثالث والرابع – ترجمة د. محمد رمضان، د. طه حسين – تعقيب الشيخ مصطفى عبد الرازق – الهيئة العامة لقصور الثقافة – سلسلة ذاكرة الكتابة رقم ١٢٢ – القاهرة ٢٠١٠م – ص٧٤).

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ومن ثم فإن أهمية كتاب وقصة عَلَمْ الدين أنه قدم العلم في لغة أدبية، وفي إطار فني وشكل جديد، ولم يكن الهدف كتابه قصة يكون هو رائدها في الشرق العربي – وهو حقيق بذلك – ولكنه أراد تقديم خبرته إلى بني جلدته حول مضامين الحضارة الغربية الحديثة وعلومها وبلوغ الأوج في المدنية والازدهار، والمقارنة بين مميزاتها وعيوبها، وتعريف أبناء الشرق بالعلوم التي يجهلونها(١٦).

ويرى البعض "أن كتاب عَلَمْ الدين خطوة فنية أكثر تقدمًا من كتاب الطهطاوي(١٨٠١-١٨٧٣م): تخليص الإبريز في تلخيص باريز (باريس)(١٧). فالطهطاوي حكى بأسلوب مباشر تجربة ارتحاله إلى الغرب؛ أما على مبارك فتميز كتابه بأمرين : أولهما : إنه لم يقف عند تجربة المسافر التي تقوم على المشاهدة والوصف، بل تجاوزها إلى تعليم ما استجد من علوم من خلال سرد مشوق كلما سنحت الفرصة، والأمر الثاني : إنه وضع هذه المعرفة في قالب فني هو القصة". ويضم الكتاب فروع المعرفة المتعددة، وبخاصة المعارف العلمية كعلوم الفيزياء (الطبيعة أو الفيزيقا) الأرض (الجيولوجيا)، والبحر والنبات والحيوان والحشرات والطب والصيدلة والرياضيات وعلم الاجتماع والتاريخ والجغرافيا؛ إلى جانب التعريف ببعض الصناعات ومستحدثات المدنية الغربية كالبنوك والبورصة والمسرح(١٨).

وفي كتاب على مبارك المذكور؛ يتناول بالشرح الدقيق المقترن بروح وحس العالم – لأنه في الأصل دارس للهندسة – طريقة سير القطارات (الوابورات) بالطاقة البخارية – لأنه من المعلوم أن ثاني سكة حديد في العالم بعد سكك حديد إنجلترا أُنشئت في مصر؛ وذلك لأسباب تتصل بمصلحة الإمبراطورية البريطانية التي لم تكن تغرب عنها الشمس آنذاك – ويصوغها بهذه الكيفية : حينما يتم تسخين الماء بالحرارة – نار الفحم – تتحرك القاطرة بفعل قوة البخار؛ من خلال ماء موجود في إناء محكم الإغلاق ينفذ منه البخار إلى منافذ معلومة لآلات محددة؛ فتحركها طاقة البخار(١٩).

والسؤال المطروح: إن الحرارة إذا سخنت المياه حللت (بخرت) منه أجزاء فيكون بخارًا فيرتفع ويختلط بالهواء، وينقص هذا القدر من الماء، مثلما يحدث بالضبط عند غليان القدر لمدة طويلة فيبدأ الماء بالتناقص، وللإجابة عن السؤال السابق : إنه إذا وضع مقدار من الماء في إناء محكم الغطاء من كل أطرافه، بحيث لا يكون فيه منفذ، وكان فيه جزء

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

فارغ من الماء، وتم إشعال النار تحته، تصاعد البخار المتحلل بحرارة النار إلى ذلك الفراغ، الموجود في أعلى الإناء؛ سواء كان فراغاً محضًا أي خال من الهواء، أو كان فيه مقدار من الهواء، فإذا استمر إشعال النار أسفل الإناء، فلا يزال يتحلل البخار من الماء، ويختلط بالموجود منه من ذي قبل، وبازدياد البخار تزداد قوة تمدده، حتى تصل إلى حد معين بينه وبين درجة حرارة الماء نسبة معلومة، فعند ذلك تثبت قوة البخار على هذا الحد؛ ولا تتجاوزه، ويتوقف توليد بخار جديد من الماء، وهذا ما يسمى بقوة البخار القصوى[٢٠].

ويتابع بعد ذلك شرح وتوضيح علاقة الطاقة البخارية بضغط الهواء الجوي، وكذا كيفية التحكم في هذه الطاقة قوة وضعفاً، ثم ينتقل إلى شرح مفهوم الضغط الجوي وتطبيقاته العملية الحياتية بأسلوب علمي متخصص، ولكن بطريقة غاية في البساطة والسهولة، ثم يختتم بتوضيح تطور صناعة المحرك البخاري منذ نشأته وفكرة عمله - نظرية العمل - وصولاً إلى أوج اكتماله على يد ستيفنسون[*] (١٧٨١-١٨٤٨م) : ومن الملاحظ أنه استعرض هذا الموضوع في قرابة الثلاثين صفحة من رواية عَلَمْ الدين، وعلى هذا الأساس يرى على باشا مبارك بأن المنهج هو "الاهتداء لطرق (مناهج) الاستنتاج المؤدية إلى البرهان ... بالاعتياد على ملاحظة الكائنات (والظواهر) الطبيعية؛ والتجارب؛ والأعمال (الممارسات والتطبيقات العلمية) البشرية"[٢١].

القانون المصري من منظور الفلسفة والمنطق :

وهناك كتاب يُعد علامة فارقة في تاريخ الوعي والثقافة المصرية، وهو كتاب : أصول الشرائع[**] للفيلسوف جيرمي بنتام (١٧٤٨-١٨٣٢م). المنشور في مصر ١٨٨٦م؛

(*) دشن ستيفنسون أول قطار لنقل الركاب والبضائع؛ وقطع مسافة ٤٢ كيلو متراً، وتم بناء أول خط للسكك الحديدية بين مدينة ليفربول ومانشستر في عام ١٨٣٠م، وكان ستيفنسون يعمل بوصفه كبير المهندسين المسئول عن المشروع برمته. (انظر جون كلارك وآخرون – المسار الزمني لتقدم العلوم – ترجمة مصطفى معرفي – المجلد الخامس – الثورة الصناعية ١٧٧٥/١٨٣٩م – المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب – الكويت ٢٠١٥م – ص٢٤).

(**) أصول الشرائع لجيرمي بنتام؛ غير كتاب مونتسيكو (١٦٨٩-١٧٥٥م) روح الشرائع (روح القوانين)؛ لأن كتاب مونتسكيو هو الأشهر بالنسبة لفلاسفة العقد الاجتماعي، فلقد طغت شهرته على كتاب بنتام المذكور؛ ولكن كتاب أصول الشرائع لجيرمي بنتام من المفترض أنه قد نظم الحياة القانونية والدستورية في مصر في القرن العشرين، ولاسيما بعد معرفة الحياة السياسية والدستور والبرلمان. أنظر مونتسكيو – روح الشرائع - الجزء الأول والثاني – ترجمة عادل زعيتر - تقديم سعد عبد الرحمن - إعادة طباعة – الهيئة العامة لقصور الثقافة – القاهرة ٢٠١١م.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ونقله إلى العربية المستشار أحمد فتحي زغلول(*)[٢٢] وفي هذا الكتاب تطبيق مباشر لقواعد المنهج العلمي في التفكير؛ على استنباط الحقائق والنصوص والتشريعات القانونية؛ والملاحظ أن أرومة التشريعات القانونية في مصر منذ ترجمة ذلك الكتاب، وبالإضافة لشهرة المترجم؛ شكلت الركن الركين للقانون والتشريع المصري، - ومن الشائع بطريق الخطأ أنه قانون فرنسي، ولكن الفيلسوف جيرمي بنتام إنجليزي الأرومة والتكوين -، ولكنه نشر هذا الكتاب في فرنسا بعد هجرته إليها، وتم اعتماده كمرجعية لوضع التشريع الفرنسي؛ ومعروف أن الترجمة إلى العربية تمت من اللغة الفرنسية؛ وليس من النص الإنجليزي، ومنذ ذلك الحين وحتى الآن يتم النظر إلى التشريع القانوني في فرنسا ومصر على أنه لابد وأن يتطابق مع العقل (معقولية القانون/ معقولية النص)، لأنه في الأصل صيغ بوحي من قواعد المنهج المنطقي المتأثر بالتجريبية الإنجليزية، التي يُعد بنتام أحد روادها. والذي يهمنا في هذا المقام هو تطبيق قواعد المنهج على القانون؛ وبذلك يمكننا القول بحق إن كتاب أصول الشرائع هو كتاب في فلسفة القانون، وهذا الكتاب يعد من تجليات الأثر الفلسفي في الذهن والعقل المصري، ومازال حتى الآن.

يقول المترجم الفرنسي: "كتاب أصول الشرائع هو كتاب في منطق التشريع لأنه يحتوي على القواعد التي يسير الفكر في الموضوع بحسبها (بمقتضاها) ... فضلاً عن كونها تدل على طرق (مناهج) جديدة في علم مناهج البحث والآداب"[٢٣]. ويردف إنه باكتشاف آلة جديدة يحدث تقدم جديد، أو يساعد على حدوثه، مثلما حدث باختراع التيلسكوب(**)فشحذ الهمم على البحث في علم النجوم، ولا يقف الفكر عادة عند حد واحد

(*) المستشار أحمد فتحي زغلول (ت ١٩١٤م)؛ شقيق الزعيم سعد زغلول (١٨٥٧ – ١٩٢٧م)، درس القانون وحصل على الإجازة فيه من فرنسا؛ وهو من ضمن قضاة محكمة دنشواي الشهيرة والتي عاقبت المصريين عقابًا أليمًا كان سببًا في استقالة اللورد كرومر المعتمد البريطاني في مصر بتلك الفترة؛ ولكن الحكم صدر بالأغلبية ولم يصدر بالإجماع؛ ولم يُعرف إن كان أحمد فتحي زغلول صوت بالموافقة أم بالرفض؛ وما يهمنا ترجماته إلى العربية ذات الأثر البعيد في الثقافة المصرية:

١- جيرمي بنتام – أصول الشرائع – المطبعة الأميرية – القاهرة ١٣٠٩هـ/١٨٩٠م.
٢- ادمون ديمولان – سر تقدم الإنجليز السكسونيين – مطبعة الشعب – القاهرة ١٨٩٩م.
٣- جوستاف لوبون – سر تطور الأمم – مطبعة الشعب – القاهرة ١٩٠١م.
٤- جوستاف لوبون – روح الاجتماع – المشروع القومي للترجمة – سلسلة ميراث الترجمة رقم ٩٨٣ – المجلس الأعلى للثقافة – القاهرة ٢٠٠٥م.

(**) التليسكوب أساسًا يقوم على صناعة العدسات؛ وفهم قوانين الضوء؛ ولذلك فإنه بالإشارة لجاليليو على أنه صانع التليسكوب، إلا أنه يوجد ميراث كبير جدًا سابق عليه منذ أرشميدس، وابن الهيثم، وكبلر، وتيكوبراهي. ولولا العدسات ما استطاع ليفنهوك من اكتشاف الميكروبات، فهذا هو الكشف العلمي الذي ظهر بدون أية تمهيدات. أعني اكتشاف الميكروب على يد الهولندي صانع العدسات ليفنهوك. (انظر في ذلك :

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

مدة من الزمن؛ فهو ينتظر أن يتم اكتشاف آلة جديدة يتقدم بها في أبحاثه ومعارفه[٢٤] وينص على "الآلة[*] في العلوم النظرية وهي عبارة عن وسيلة لتقريب الأفكار بعضها من بعض ... وبعبارة أخرى هي طريقة (منهج) جديدة في علم الاستنتاج (البرهان والاستدلال) ... ولقد اتخذ بنتام طريقة في الاستنتاج بما يلزمها من مبادئ وجداول وقواعد ... وأنه قد وصل باستعمال هذه المنهجية إلى انتزاع معارف جزئية من مقدمات كلية ... فأول ما يبتدئ الإنسان بملاحظة الجزئيات المتفرقة؛ ويختزن الكل في فكره وذاكرته ... فإذا كثرت الجزئيات، التفت الإنسان إلى ملاحظة ما يوجد من المشابهة والارتباط بين بعضها وبعض، ويأخذ في انتزاع كليات يجمعها رابط"[٢٥].

ويضيف المترجم الفرنسي لكتاب بنتام "ولقد ذكر بنتام في رسالة مفيدة جدًا : ما نزع بي إلى الاختراع والإبداع في علم القوانين النظر في كتب التشريع، وإنما وصلت إلى إرساء قواعدي القانونية وأصولي بمزاولة كتب الحكماء (الفلاسفة) والمشتغلين بالطبيعيات (الفيزيقا) والتاريخ الطبيعي (البيولوجي وعلوم الأحياء والجيولوجيا)، والطب، فانتبهت أثناء مطالعتي إلى إحدى رسائل علم الطب إلى ترتيب الأمراض وأدويتها، وأخذت أفكر في أنه لابد للجسم السياسي من علوم مثله كالتشريح، ووظائف الأعضاء، والمادة الطبيعية (الصيدلة)، ولم أعثر إلا على القليل من ذلك في كتب هيوم (١٧١١-١٧٧٦م)، وهلفسيوس – فيلسوف فرنسي - (١٧١٥-١٧٧١م) وبيرجمان (١٧٢٤-١٧٨٤م) – كيميائي سويدي-؛ وكان هم بنتام إيجاد مبدأ يضعه أصلاً - مقدمة بلغة المنطق، ومعطي بلغة الرياضيات-، ثم يبني جميع القواعد عليه، ويرجع كل الأصول

- ريموند شوبينسكي – كيف أعاد المنظار الفلكي رسم صورة الكون؟.
- ليز كورسي – ٤٠٠ عام على ثورة المنظار الفلكي.
- ريتشارد تاكلوث – ٤٠٠ عام على منظار جاليليو (ماذا رأينا؟).

هذه الأبحاث وغيرها ضمن – دورية الثقافة العالمية – المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب – سلسلة رقم ١٦١ – الكويت ٢٠١١م).

(*) يسمى كتاب الأورجانون الجديدة (الآلة الجديدة) كدلالة على إحلال طريقة منهجية مغايرة لطريقة أرسطو في القياس الصوري التقليدي؛ والمسمى بالأورجانون (الآلة)، أما ديكارت فلقد أسمى كتابه في المنهج : مقال في المنهج لإحكام قيادة العقل والبحث في حقائق العلوم، ويسمى (حديثاً الطريقة)، أما ليبنتز فلقد أسمى منهجه بالفن الارتباطي Ars Combiratoria، وهو القدرة على الربط بين الحقائق المتناثرة وصوغها في نسق وإطار ابستمولوجي محكم؛ والفن الارتباطي مستمد أساسًا من الرياضيات؛ وطبقه ليبنتز على القانون والسياسة، فما وثيقة ليبنتز في مشروع غزو مصر إلا ثمرة من ثمار هذا الفن المنهجي.
(أنظر د. أحمد عزب أحمد – مصر في ضوء منهجية ليبنتز رؤية في منطق التكتيك - دورية إبداع – العدد العشرون – القاهرة - خريف ٢٠١١م - ص١٣٤-١٥١).

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

إليه، وجعل محور أفكاره ومرجع مباحثه أصلاً واحدًا أسماه المنفعة... ولبيان أصل المنفعة أتى على جميع ذكر اللذات والآلام وهي أجزاء العمليات الفكرية؛ وصار التقنين بذلك قائمًا على تلك الآلات (المناهج)؛ كما قام علم الحساب على الأعداد"[٢٦] ويجزم بما لا يدع مجالاً للشك "لا تظهر المنفعة إلا بمطالعة أحوال النفس كما تظهر الحقائق الطبيعية بالنظر في خواص الطبيعة؛ والبحث عن ذلك بالترتيب والاستنتاج يؤدي إلى وجود علمين جديدين سماهما بنتام بالباثولوجيا الفكرية (التحليل المعرفي)، والثاني : الديناميكا[*] العقلية (القوة المؤثرة في ملكات الإنسان)[٢٧].

ويشير بنتام إلى جدلية العلاقة بين الإرادة والأسباب، فيرى أنها عبارة عن اللذات أو الآلام، وبافتراض وجود مخلوق من البشر لا يمكن التأثير في إرادته بلذة أو بألم، فهو خارج دائرة البشر[٢٨]. ويقرر بأنه من المستحيل لربان السفينة أن يعرف حركتها بدون معرفة ما يعرض لها في مسيرها، كشدة الرياح ومقاومة الماء وشكل السفينة أو حمولتها، كذلك لا يمكن لواضع القانون أن يعرف سلوك مجتمعه من غير النظر إلى جميع فواعل الإحساس فيها[٢٩].

ويدعو بنتام إلى نوع جديد من المنطق أسماه بعلم منطق الإرادة، وهو منطق مغاير لمنطق الإدراك والتصورات، فلقد اعتاد الناس التفريق بين معرفة الشئ (الإبستمولوجيا وطريقها المناهج)؛ والقدرة على فعله، مع أن المعرفة في واقع الأمر نوع من القدرة؛ إذ يلزم للإنسان قبل فعل أي أمر معرفته ببعدين. أولهما : سبب ذلك الفعل. وثانيهما : طريقة ومنهج أداء الفعل، "فالمعرفة قسمان : معرفة السبب، ومعرفة السبيل (الطريقة والمنهج)"[٣٠].

الشيخ طنطاوي جوهري وثنائية الإنسانية والعلم :

ويتفرد الشيخ طنطاوي جوهري[**] ببحث طبعه في كتاب من ٢٧٠ صفحة، وقدمه إلى مؤتمر الأجناس العام بإنجلترا، والذي حضره ٢٥ رئيسًا من رؤساء المجالس البرلمانية، بالإضافة إلى ١٣٠ أستاذًا في القانون الدولي، فضلاً عن علماء وأساتذة

(*) الميكانيكا مبحث من مباحث الرياضيات تنقسم إلى قسمين هما الأول : الاستاتيكا؛ وتختص بالبحث في الأجسام وهي في حالة سكون، والثاني : الديناميكا؛ وتختص بالبحث في الأجسام وهي في حالة حركة.

(**) الشيخ طنطاوي جوهري أول عربي يرشح لجائزة نوبل في الآداب بسبب كتابه "أين الإنسان؟، وذلك في عشرينيات القرن الفائت؛ وبعده رُشح بأكثر من نصف قرن الأديب توفيق الحكيم، وحاز عليها الأديب نجيب محفوظ في عام ١٩٨٨م.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

آخرين. وحدثت مناقشات بين الشيخ طنطاوي جوهري وبين المستشرق جويدي[*] (١٨٤٤-١٩٣٥م) وبينه وبين مرغليوث[**] (١٨٥٨-١٩٤٠م) بخصوص موضوعات الكتاب، وأشار إلى ذلك في مقدمة كتابه النفيس، واعتقد من وجهة نظري أنه قد نفذ إلى أعمق أعماق الفلسفة، وهي الدفاع عن الإنسانية ونبذ العنف والصراعات البشرية؛ وكافة أعمال الحرب. ولعمركم جميعًا إنه كتاب لا نظير له في كل المؤلفات الفلسفية والفكرية العربية، وذلك لإقراره بحقوق مبدأ وقاعدة الإنسانية، فبدلاً من أن يكون الإنسان ذئباً لأخيه الإنسان كما ذكر هوبز (١٥٨٨-١٦٧٩م)، فيجب من وجهة نظره أن يكون الإنسان أخًا ومعينًا لأخيه الإنسان.

يقول الشيخ طنطاوي "ليس في الشرق ولا في الغرب من عقل إلا وهو موضوع لحكمة ومجبول على فضيلة كعناصر الشجرة المخبوءة في البذرة ... فيجب أن تقوم الأمم العالمة بتعليم الجاهلة، لتقم مكان الأب الوصي لا مقام الجاني والسيد الظالم ... لا تدع شبرا في كرتكم الأرضية بلا زرع ... إن عقلين أفضل من عقل، وأمتين فاضلتين أفضل وأنفع لهما من أمة عاقلة وأخرى خاملة، وأمم وكرة أرضية أو كوكبية فاضلة عاقلة تكون أسعد سبعين مرة من أهل أرض أو كوكب جمعوا بين جهل وعلم وكمال ونقص"[٣١]. وربما يكون طنطاوي جوهري مستشرفًا للعولمة واختفاء الحواجز (الكوكبية كما ذكر هو بالضبط).

ويردف طنطاوي جوهري في نص هام يقول فيه: "واعلم أن القضية العتيقة القائلة بأن القوى يغلب الأضعف، وأن الضعيف أسير القوى لا تنطبق على العصر الحاضر[***] فأبيقور (٣٤١-٢٧٠ق.م) المخترع لها، وداروين (١٨٠٩-١٨٨٢م) المقرر كانا في

(*) للتعريف به (انظر يوهان بوك : الدراسات العربية في أوروبا حتى مطلع القرن العشرين – نقله إلى العربية د. سعيد بحيري، د. محسن الدمرداش – مكبة زهراء الشرق – القاهرة ٢٠٠٦م – ص٣٥٧ حتى ص٣٥٩).

(**) للتعريف به يتم مراجعة المرجع السابق من ص٤٢٦ حتى ص٤٣٣.

(***) أحدثت اليابان مفاجأة مدوية بانتصارها كقوة أضعف على روسيا القيصرية بوصفها قوة عملاقة في عام ١٩٠٥م، دويا هائلاً في العالم؛ فبعد دراسة لعالمة الأنثروبولوجيا الأمريكية مارجريت ميد للمجتمع الياباني في رسالتها العلمية (كانت قبل الحرب العالمية الثانية)، الذي نشرته في كتاب سُمى : زهرة الأقحوان. أوصت بأن هذا المجتمع عنيد وصعب المراس لدرجة تجعله يرفض الاستلام تمامًا، إلا بسلاح خارق للعادة، ومن ثم فلقد قُصفت اليابان بالقنابل الذرية إبان الحرب العالمية الثانية، ولاسيما بإصرارهم على استخدام إستراتيجية الكاميكازي (الانتحار من أجل المحافظة على الشرف الياباني)، فلقد ألف الزعيم مصطفى كامل كتابًا عن اليابان أسماه الشمس المشرقة. (انظر الزعيم مصطفى كامل – الشمس المشرقة – المطابع الأميرية – القاهرة ١٩٠٥م).

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

زمن. ونحن أحوج إلى قضية جديدة هي (العقل فوق القوة)[*] وهو أضمن للسلامة، ويغني الناس عن الحرب والمدفع والسلاح، إن الإنسان نوع واحد؛ فليرح أخيه وليتحد معه على استخراج ما في الوجود من الحكمة"[٣٢]. ويقطع قطعًا تامًا "أن أمة أبادت أمه لو أوقفت علمها، وأضعفت حركتها، فإنها تقطع من جسم الإنسانية شرياناً نابضًا، أو عضوا عاملاً، فتبطئ الإنسانية قروناً ... ومن عجب أن البعض لا يدركون بعقولهم أن اهتضام أمة منهم لأمة أخرى نقص لمجمعهم، وقلة في ثمراتهم، وسوء في أخلاقهم ... فلماذا لا تتحد الدول على رقي نوع الإنسان حتى تقاوموا جميعًا ما تغشيكم به الحياة في طغيانها من أنهارها، والبحار من أمواجها، والبراكين والزلازل من هدمها وتخريبها"[٣٣].

وبناء على ما سبق فإنه ينتهي إلى تعريف الإنسانية بقوله: "الإنسانية العامة كمدرسة نتعلم فيها المواهب العملية الصناعية، والعقل الإنساني سياج وقانون عام، وحصن يمنع طغيان الغرائز والشهوات، فهذا معنى الإنسانية، وهذا مستوى فضائلها وشرفها وفضلها"[٣٤]. ويقدم نظرية مبتكرة في مفهوم الإنسانية كشرف للنوع والجنس البشري[٣٥].

وثمة ملاحظة جديرة بالاعتبار أن طنطاوي جوهري قد قرأ كانط (١٧٢٤-١٨٠٤م) باللغة الإنجليزية؛ ويلاحظ مدى تأثير كتابه "فكرة تاريخ كوني" لكانط فيه؛ وخاصة وهو يصوغ الفصل السابع عشر؛ وعنوانه : على أي قاعدة تُبني سياسة الأمم؟". حيث يقول "إن مسألة الحكومات والتعليم متضامنتان لا تحل إحداهما إلا مع الأخرى ... لتعلم أنهما أختان وصنوان وفرقدان لا يفترقان، وأن أحدهما : كالعين المبصرة، والأخرى: كالأذن السامعة؛ فإنهما يجريان في حياة الأمم مجرى الطعام والشراب"[٣٦]. ويلاحظ أن تاريخ المعمورة السياسية Cosmopolitique متجذر في أعماق النظام السياسي والاجتماعي للحياة البشرية على امتداد التاريخ الإنساني[٣٧]؛ ويقرر طنطاوي جوهري بكل حسم "ليس بحكيم من قصر عقله على أمه واحدة"[٣٨]، ومن ثم "فإن أطفال الإنسانية هم الأمم التي ضل سعيها في الحكمة والفلسفة، فنظروا نظام النبات والحيوان والإنسان، واتصال هذه السلسلة البديعة فعجزوا عن فهمها، وضلوا فيما يعملون"[٣٩].

ويُدلي الشيخ طنطاوي جوهري بدلوه في مسائل فلسفة العلوم؛ من خلال التشريح الطبي وفلسفة العلوم، ويقرر بأن علماء التشريح والنفس عرفوا تقسيم الأعمال الإنسانية والحركات الحيوانية، فعرفوا أنها موزعة على أجزاء المخ منظمة مرتبة، والناس عنها

(*) يتضح بجلاء استعارة الزعيم سعد زغلول لهذا التعبير وجعله شعارًا لحزب الوفد بعد تعديله القاعدة السابقة، إلى شعار وقاعدة تنص على : (الحق فوق القوة).

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

غافلون، فللعين مرآتها في مؤخر الدماغ، وللأذنين مرآتها في مؤخر الرأس (الصدغين) متخالفتين بحيث ترسم آثار الأذن اليسرى جهة اليمين، وآثار اليمنى جهة اليسار، ولقد عرفوا أن أعصاب الحركة أقرب إلى مقدم الرأس والجبهة حول الشق الداخل في الدماغ، ومعها أعصاب الحركة للسان، وأدركوا كيف كان للغات شفرة منقوشة نحو وسط الدماغ، وللحروف المكتوبة لوح محفوظة في أعلاه، كل ذلك عرفه العلماء بالتجربة، فلو زل المخيخ الموجود خلف المخ، لاختل سير الإنسان وحركته، وضل في أعماله، لقد رُتبت أحوال الإنسان على مؤخر الدماغ لنظام الرؤية والعين والإبصار، ومقدمته لسائر الحركات[٤٠].

المعهد التعليمي الأول للإنسانيات (كلية الآداب) والتعويل على منهجية الفلسفة:

وهناك ملاحظة جديرة بالانتباه بخصوص إنشاء كلية الآداب بجامعة فؤاد الأول ١٩١٠م، فقد اتضح من خلال وثائق الجامعة المصرية أن المسمى الأول الذي سُميت به كلية الآداب هو "كلية الآداب والفلسفة"، وكان يتم تدريس مقررين للفلسفة في هذا العام وهما؛ الأول : الفلسفة العربية والأخلاق. والثاني : تاريخ التعاليم الفلسفية[٤١].

أما عن وثائق إنشاء الجامعة في ١٩١٢/١٩١١م فلقد تمت الإشارة إلى إيقاف تدريس المقررات الفلسفية : (الفلسفة العربية وعلم الأخلاق، تاريخ المذاهب الفلسفية. لتعذر توفير أساتذة للتدريس). وبناء عليه تم استبدال مسمى "قسم الآداب" بـ "كلية الآداب والفلسفة"[٤٢]. ولتفسير ذلك فإننا بإزاء خيارين الأول : النظر إلى الفلسفة كنوع مغاير ومتمايز عما سواه من باقي الدراسات كآداب اللغة العربية، وتقويم البلدان ووصف الشعوب، وهذا لا يضير الفلسفة، بل ينظر إليها على أنها لون فكري ونشاط عقلي متميز، ولكن لا أرجح هذا التفسير، وذلك لأنه في العام نفسه صدر كتاب ابن سينا : منطق المشرقيين[*] وبه القصيدة المزدوجة في قواعد المنطق، المكونة من ٢٩٧ بيتاً شعرياً، وكذا أرجوزته الشهيرة في النفس، وبعد ذلك كتابه في المنطق وهو من أيسر وأفضل المؤلفات التي صاغها الفلاسفة المسلمون في هذا العلم، وهو خالٍ من الصعوبة والجفاف، وبالتالي فهو ميسور الفهم تمامًا[٤٣]، والذي أرجحه هو النظر إلى الفلسفة كمنهج للبحث

(*) كتاب منطق المشرقيين لابن سينا، يعتبر الكتاب المنطقي الأول الذي نشر في مصرنا المحروسة ١٩١٠م. (انظر ابن سينا – منطق المشرقيين – المطبعة السلفية – القاهرة ١٩١٠م. أما أول كتاب في المنطق تم ترجمته من لغة أوروبية (الإنجليزية) إلى لغتنا العربية. أنظر ستانلي جيفونز – أصول المنطق - تعريب يوسف اسكندر جريس – مكتبة النشر والتأليف الحديث – الفجالة – القاهرة ١٩٢٤م).

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

في شتى مناحي العلوم والآداب الإنسانية، ومن ثم فإن العمق والتحليل الـذي يُعـد ميـزة التفكير الفلسفي؛ فقط هو الذي يعطي الدراسة والأبحاث عمقًا مطلوبًا وهدفًا مرتجي.

وتظل الحقيقة الواضحة التي لا مرية فيها : إنه حينما تم إدراج مقررين للفلسفة في ١٩١٠م سُميت "كلية الآداب والفلسفة"، وبسبب تعذر تدريس هـذين المقـررين لـصعوبة استقدام الأساتذة المنوطين بذلك؛ تم تغيير المسمى إلى "قسم الآداب"(*).

أما إذا انتقلنا إلى منصور باشا فهمي (١٨٨٦ – ١٩٥٩م) باعتباره أول الحـائزين على الشهادات العليا (الدكتوراه) في الفلسفة في عام ١٩١٣م كمبعوث للجامعة المـصرية، فلقد تتلمذ على يد ليفي برول (١٨٥٧-١٩٣٩م)، وتأثر به كأحد أقطاب الفلسفة الاجتماعية الفرنسية في مطلع القرن الفائت، ومعروف ما أثارته رسالته في الدكتوراه مـن مـشاكل اضطرته لترك التدريس بالجامعة المصرية، وكان موضوعها ينصب على المـرأة، ولقـد واكبت هذه الفترة الزخم الذي أثاره الإرث الفكري لقاسم أمين من جراء آرائـه الثوريـة التي تدعو لتحرير المرأة.

وبخصوص تصوره للمنهج الفلسفي يقول منصور فهمي "الفيلسوف يُحلـل ويُعلـل ويفحّص ويُمحّص؛ وقد يجر ذلك إلى تحقيق وتدقيق"(٤٤).

الشراكة العلمية والفلسفية بين محمد بدر وحسن حسين :

ثمة وضوح تام للتعاون العلمي بين محمد بدر وحسن حـسين لكـل مـن يطـالع مؤلفاتهما، ولاسيما ما يتصل بالفلسفة بصفة عامة، ومفهوم المنهجية العلمية بصفة خاصة. ولذلك لا توجد أدنى مبالغة إذا قلنا إنه كانت هناك شراكة علمية بين الاثنين ترقى إلى حد تكوين ما يسمى بالفريق العلمي المتكامل، والملاحظ على مؤلفات الاثنين امتلاكهما للتعمق الفلسفي ، وهذا واضح من خلال آرائهما حول بعض القضايا العلمية، ولاسيما ما يتـصل بنظرية التطور وموضوعات الوراثة.

وكذلك يتضح تبني كل منهما لما نستطيع أن نقول عنه مـشروعًا فلـسفيًا أرومتـه منهجية التحليل الدقيق، وبخاصة أن لكل منهما مؤلفات فلسفية تتسم بـالعمق والأصـالة؛ ويتخذ من الهوية منطلقاً إلى آفاق المستقبل الرحيبة، وكذا يلاحظ أنهما قد مارسـا النقـد

(*) مرفق في آخر البحث وثيقتين لإنشاء كلية الآداب بالجامعة المصرية. (انظر الجامعة المـصرية – تقريـر مجلس الإدارة برئاسة شرفية للأمير أحمد فؤاد باشا المنعقد في ١٤ ربيـع الأول ١٣٢٩هـ/ ١٥ مـارس ١٩١١م – مطبعة المعارف بالفجالة – القاهرة ١٩١١م. و(انظر كذلك اجتماعًا آخر فـي ٢ ربيـع الثـاني ١٣٣٠هـ/٢١ مارس ١٩١٢م – القاهرة ١٩١٢م).

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

بالمفهوم الفلسفي، والتعامل مع التأريخ للفلسفة العربية الإسلامية من منظور تحليلي نقدي، وتظل الحقيقة الواضحة هي أن كتاب محمد بدر "تاريخ الفلسفة في المنطق وما بعد الطبيعة" بترجمة حسن حسين، أول تأليف فلسفي مصري في القرن الفائت منشور في مصرنا المحروسة.

التعريف بمحمد بدر :

ثمة خلط بين محمد بدر (بك) الأب[*] (المتوفي ١٩٠٢م)؛ أحد أعضاء البعثة الثانية إلى إنجلترا في ٣١ أكتوبر ١٨٥٠م في عهد عباس باشا الأول؛ وبين أمين محمد بدر[*]، حيث يذكر الأمير عمر طوسون "وهو – يقصد محمد بدر الأب – والد الدكتور أمين بك بدر من الأطباء المشهورين، وتوفى من بضع سنين"[٤٥]. وبما أن كتاب عمر طوسون صادر في ١٩٣٤م، وبما أن بضع سنين تعني من سبع إلى أقل من عشر سنوات – ٧ إلى ٩ -، تكون وفاته ١٩٢٩م تقريبًا[٤٦].

ويذكر معجم المؤلفين إشارة مقتضبة عنه حيث يقول: "محمد (أمين) بدر (محمد بدر) دكتور الطب، ومن آثاره : النفحة الطبية في الأمراض الزهرية"[٤٧].

ويروي الشاعر حافظ إبراهيم (١٨٧٢ – ١٩٣٢م) صداقته لمحمد بك بدر، في أبيات شعرية نشرها في ١٩١٦م بمناسبة طفلة رُزقها صديقه محمد بدر[٤٨]، ثم بعد ذلك يكتب قصيدة إلى أحمد بك راغب بدر وهو في كلية أدنبره بإنجلترا ونُشرت في عام ١٩٠٨م[٤٩] ثم يكتب قصيدة وداع لصديقيه محمد بدر وأحمد بدر عند سفرهما إلى بلاد الإنجليز للتعلم، ولم يلمح المصدر إلى تاريخ كتابتها، ولكننا نستنتج ببساطة بما أنه كتب قصيدة تشوقه إلى صديقه أحمد بدر في ١٩٠٨م؛ فمن الضروري أن تكون هذه القصيدة متقدمة على التاريخ السابق، وأرجح الآراء أنها كانت في ١٩٠٤م، ومنها قوله فيها لصديقيه محمد بدر، وأحمد بدر :

(*) يذكر الأمير عمر طوسون بخصوص محمد بدر (بك) الأب، أن حكيم المملكة البريطانية (يعادل وزير الصحة الآن؛ ومن المعتاد أن يكون أستاذا بالجامعة) طلب استبقاءه بإنجلترا، والعمل مساعدا له، ولكنه رفض، وكان يلقب في بلاد الانجليز بنجمة الشرق، ونال وسام الشرف الأول في إنجلترا؛ ويذكر أنه زار معظم البلدان الأوروبية، وكان من بين المعينين في حفل افتتاح قناة السويس، (انظر ترجمته في عمر طوسون – البعثات العلمية في عهد محمد على ثم في عهد عباس الأول وسعيد- الإسكندرية ١٩٣٤م- ص٤٤١ إلى ص٤٤٥).

(**) هذا هو الاسم بعد تدقيقه من كتاب الأمير عمر طوسون؛ فهو ابن محمد بدر بك الأب ، وشقيق أحمد بدر (بك). محمد بدر الذي عمل بالقضاء. (انظر عمر طوسون – البعثات العلمية في عهد محمد على ثم في عهد عباس الأول وسعيد، ص٤٤٤).

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

سيرا أيا بدري سماء العلا واستقبلا التم ولا تأفلا
سيرا إلى مهد العلوم التي كانت لنا ثم ازدهاها البلي
سيرا إلى الأرض التي أنبتت عزا وأضحت للملا موئلا

ويقول أيضًا :

لازلتما فرعين في دوحة تظل من رجى ومن أملا
نمتكما مصر ورباكما أب كريم جد حتى علا
فرحمة الله على والدٍ كساكما الإعزاز بين الملا(٥٠)

وربما كان هناك بيت من الشعر في القصيدة سالفة الذكر يتبني فيها حافظ إبراهيم شعار المدرسة الإنجليزية وفلسفتها في التفكير، وهي الجمع بين العلم الإستنتاجي والعمل التطبيقي حيث يقول:

شعار أهليها(*) وأبنائها أن يعلم المرء وأن يعملا

وثمة ملاحظة خاصة بمحمد بدر من واقع ما هو مدون على غلاف كتابه المطبوع: تاريخ الفلسفة، حيث تلمح إلي أنه كان عضو المجمع العلمي بأدنبرج (أدنبره)، ومحرر بدائرة المعارف الإسلامية بليدن(**)، الحائز على شهادات الشرف من الدرجة الأولي في الفلسفة العامة، والمنطق وعلم النفس، وتاريخ المذاهب الفلسفية؛ وتاريخ العرب في الأندلس، وتاريخ الآداب الإسلامية من جامعة بون بألمانيا(٥١).

(*) يقصد الشعب البريطاني.

(**) من ضمن توصيات المؤتمر الدولي للمستشرقين المنعقد في جنيف بسويسرا ١٨٩٤م، فكرة إنشاء موسوعة تبحث موادها في الحضارة الإسلامية، وفي مختلف الشئون المتعلقة بالعرب تاريخًا وجغرافية ولغة وأدبًا وفنًا وعلمًا وفلسفة بغية تغطية ثقافتهم تغطية تامة في كل ميدان بحسب آخر ما توصلت إليه بحوث المستشرقين في بلدان أوروبا والغرب عامة، وتم إنجاز الطبعة الأولى لمواد هذه الموسوعة بداية من عام ١٩١٣م حتى تمت في ١٩٤٣م وصدرت بثلاث لغات: الإنجليزية والفرنسية والألمانية – ومن المعروف أن هذه الموسوعة قد تُرجمت إلى العربية ما بين ١٩٥٣م، ١٩٦٩م. (انظر د. سيد نوفل – دائرة المعارف الإسلامية – دورية الهلال – العدد ١ – يناير/٨٤ – القاهرة – ١٩٧٦م – ص٦، ٧. وانظر د. محمود المقداد – تاريخ الدراسات العربية في فرنسا – سلسلة عالم المعرفة – سلسلة ١٦٧ – المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب – الكويت – ١٩٩٢م – ص٢٠٠ وما بعدها. وانظر يوهان فون بوك - الدراسات العربية في أوروبا حتى مطلع القرن العشرين – ترجمة د. سعيد حسن بحيري، د. محسن الدمرداش – مكتبة زهراء الشرق – القاهرة ٢٠٠٦م – ص٥٠٦ إلى ص٥٠٨).

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

مؤلفات محمد بدر :

١-تاريخ الفلسفة في المنطق وما بعد الطبيعة (بالإنجليزية) ترجمة حسن حسين(*).

يقع الكتاب في ٢٢٨ صفحة من القطع الكبير؛ غير اثنتا عشرة صفحة لمترجم الكتاب وهو الأستاذ حسن حسين حيث يقول: "لابد من تبيان حقيقة يستدركها علينا البعض، فيقول : كيف يصح أن يكتب عربي في الإنجليزية ما لا يستطيع ترجمته إلى العربية، ثم يقوم عربي مثله بهذا الواجب؟، نقول : لقد نال صديقي بدر من علوم الغربيين قسطًا وفيرًا ودرس الفلسفة بالألمانية وبالإنجليزية، واندرج في الجو الإنجليزي حتى تغلبت عليه اللهجة الإنجليزية ... وهو أبعد الناس عن الادعّاء والتطفل، فلما ألّف كتابه ولم يأنس من نفسه الكفاءة والقدرة على ترجمته كما يجب أن يكون، لذلك آثر أن يُلقى على غيره هذه التبعة، فكلف غير واحد ترجمته، بيد أنه لم يحظ من ترجمتهم بتلك الروح الفلسفية الغالبة في كتابه، ولم أك أعرفه بعد، فلما عرفته طلب إلى أن أترجمه، فعالجت ترجمته بعد أن تصفحته ووجدته خير ما يترجم في هذا العصر، لبلد كمصر"(٥٢).

ويضيف المترجم "أن المؤلف – محمد بدر – وضع كتابه هذا في انتهاء عهد دراسته، أيام كانت تتوافر لديه المراجع ويسهل عنده البحث والتنقيب، ولم يُترجم الكتاب إلا بعد أن حُرقت مكتبته"(٥٣)، ويلاحظ على النص السابق أن محمد بدر وضع كتابه بالإنجليزية ١٩١٠م، وتمت ترجمته إلى العربية ١٩١٢م، أما ما أشار إليه د. جميل صليبا (١٩٠٢-١٩٧٦م)، - الإشارة الوحيدة إلى هذا الكتاب – إلى أنه تُرجم وصدر في ١٩١٩م؛ وفي واقع الأمر هذا صحيح، ولكن في طبعته الثالثة(٥٤).

وهناك ملاحظة جديرة بالاعتبار، وهي أنه قد سبق الإشارة إلى الإقرار بأن الدكتور مصطفى الحفناوي (ت ١٩٨٠م) قد تعرف على وثيقة ليبنتز (١٦٤٦-١٧١٦م) الخاصة بمشروع غزو مصر؛ إبان إعداده للدكتوراه بجامعة باريس، وترجمة رسالته عن قناة

(*) ألف الطبيب محمد بدر كتابه المذكور باللغة الإنجليزية، ثم ترجمه الأستاذ حسن حسين إلى اللغة العربية، وهذه هي المرة الثانية التي يحدث في الفلسفة هذا الأمر، وفي مصر تحديدًا، فلقد ألف د. زكي نجيب محمود: كتاب الجبر الذاتي، وكان في الأصل موضوع رسالته للدكتوراه من جامعة لندن ١٩٤٨م، وترجمها الدكتور إمام عبد الفتاح إمام، (انظر د. زكي نجيب محمود- الجبر الذاتي (بالإنجليزية)- ترجمة د. إمام عبد الفتاح إمام- مراجعة وتقديم د. زكي نجيب محمود- الهيئة المصرية العامة للكتاب – القاهرة - ١٩٧٣م).

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

السويس في مصر عام ١٩٥٠م؛ وبها نص وثيقة ليبنتز[*] ومنذ ذلك الوقت أصبح من المتعارف عليه بأن الدكتور الحفناوي له الفضل في الكشف عن هذه الوثيقة، ولكن من خلال هذا الكتاب في الفلسفة لمحمد بدر، ولأنه تلقى التعليم الفلسفي في ألمانيا، فلقد نص محمد بدر صراحة على معرفته وكشفه لهذه الوثيقة المفصلية في تاريخ أوروبا والعالم العربي حيث يقول: "ولقد نزح ليبنتز إلى باريس مع بعثة رحلت إلى هناك لمقابلة لويس الرابع عشر وإقناعه في مسألة تتعلق بغزو مصر، وفعلاً أثرت هذه البعثة في الإرادة الحربية العظيمة (لفرنسا)، وحولتها عن ألمانيا"[٥٥]. ولو كان كتاب محمد بدر أخذ العناية التي يستحقها من جانب دارسي الفلسفة وأساتذتها، لعرفنا هذه الوثيقة منذ عقود بعيدة خلت.

وينتقل إلي معالجة موضوع الإبستمولوجيا ومناهجها، ويسوق لنا محمد بدر موقف هربرت سبنسر (١٨٠٩-١٨٩٢م) الذي ميز بين درجات المعرفة فقرر أنها ثلاثة أنواع:

١- معرفة الأشياء البسيطة النافعة للإنسان في حياته اليومية، وهي تشتمل على البسيط من الملاحظات (معرفة بسيطة).

٢- المعرفة التي تسمى علمًا، والعلم جامع المعارف المنظمة وهو المدبر لشتى الملاحظات في واقع الحياة، والمنظم لها لتكون معقولة يسلم بها العقل، وهو الرابط لها المهيمن عليها (تلك هي المعرفة الفلسفية المقترنة بالمعرفة العلمية المنهجية).

(*) يلاحظ أن هناك معلومة جديدة بخصوص ليبنتز سوف توضح لنا حقائق غاية في الخطورة، وستقلب الأمور التي تعارفنا عليها رأسًا على عقب، حيث أشار الباحث فرنكه إلى رحلة ليبنتز إلى الصين، المجلد ٨٢، ٨٣ سنة ١٩٢٨/١٩٢٩م ص١٥٥: ١٧٩.

O. Franke – Leibniz Und China.

(انظر: الفهرس العام لمجلة جمعية الاستشراق الألمانية Z.D.M.G ترجمة وتصنيف نامق كامل – المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب – قسم التراث العربي – سلسلة رقم ١٨ – الكويت ١٩٩٠م، ص٨٦).

والملاحظ أن ليبنتز قد أطلع على كتابات "صن توزو" خبير فنون الحرب العبقري في صياغة قواعد الإستراتيجية الخاصة بفنون الحرب، ومن يقرأ مشروع ليبنتز في غزو مصر بعناية، سيتضح له أنه تطبيق حرفي لنصائح وتعاليم صن توزو، وبذلك يمكننا أن نقول بثقة إن ليبنتز هو الملهم لمفكري الغرب وخاصة الإستراتيجيين منهم، وهذا الجانب مازال مجهولاً يعد فيه كاتب هذه السطور دراسة بعنوان المقارنة بين أراء ليبنتز الواردة في مشروع غزو مصر، وبين تعاليم صن توزو الإستراتيجية والعسكرية. (انظر صن توزو – فن الحرب – ترجمة هشام موسى المالكي- المشروع القومي للترجمة- المجلس الأعلى للثقافة- القاهرة، ٢٠٠٠م- وانظر كذلك د. أحمد عزب - مصر في ضوء منهجية ليبنتز رؤية في منطق التكتيك - دورية إبداع- ، العدد العشرون- القاهرة - ٢٠١١م).

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

٣- لكل علم من هذه العلوم منطقة خاصة، وهو ما جعل العلماء يسمونها علوم خاصة، وكلها فروع ترجع إلى أصل واحد هو المعرفة (الإبستمولوجيا)، ذلك أن العلم يصف علاقة المعرفة ببعض مظاهر الطبيعة كالعلم الطبيعي والرياضي ... وما شابه ذلك؛ ولذلك يسوق محمد بدر رأي أفلاطون (٤٢٩-٣٤٧ ق.م) بخصوص الاستدلال وكيفيته حيث يقول "الفيلسوف هو الذي يضم الأشياء بعضها إلى بعض، ويستنتج منها نتيجة عامة واحدة، ولا يكون ذلك بانفصال بعضها من بعض، وإنما يكون بتنسيقها تنسيقاً تخرج منه الحقائق التي يقوم العالم بنظمها"(٥٦).

٤- ويعرف المنطق بقوله: "شأن المنطق ولدته الحاجة من المعنى العملي للحيلولة (للتفرقة) بين الحق والباطل"(٥٧). ويقول "المنطق علم الحقيقة ... حقيقة عملية البرهان واحدة لا ينتابها التبديل، ولا تعرف المغايرة مطلقاً مهما كانت القضية، يتساوى في ذلك البرهان المنطقي والبرهان الحسابي والبرهان الجبري"(٥٨).

ويوضح محمد بدر مفهوم المنطق كعلم صوري حيث يقول: "المنطق تعبير الإنسان عما في خلده، على هيئة قياس محكم رصين، بما لا دخل للمادة فيه، وهم يقولون معززين هذا الرأي – صورية المنطق – إننا إذا وضعنا مادة من المعدن في وعاء ما، بقى ذلك المعدن منفصلاً عن الوعاء ... وإلا فإذا كان المنطق يذهب إلى حيث يبحث عن المادة المحددة للحقيقة كان هو المعرفة، لا علم المنطق"(٥٩)، إذن فالمنطق طريقة ومنهجية تقودنا إلى المعرفة، والمعرفة المنظمة في نسق ما، عبارة عن العلم في جوهره، وعلى هذا الأساس فالمنطق بوصفه منهجًا هو "علم تنظيم الفكر"(٦٠).

وأثناء تناوله لنظرية العلل والأسباب المختلفة يستخدم بعض التقنيات المنطقية كالآتي :

لنفرض أن تأثير (أ) يكون A

لنفرض أن تأثير (ب) يكون $\frac{A}{2}$

لنفرض أن تأثير (ج) يكون B

لنفرض أن تأثير (د) يكون $\frac{B}{3}$

لنفرض أن تأثير (هـ) يكون $\frac{B}{2}$

فيكون مجموع التأثيرات أ ب ج دهـ = $\frac{A}{2} + \frac{5B}{6}$ (٦١).

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ثم نجده يوضح طريقة كبلر ، ونيوتن ، في استنتاج الحقائق، ويشرح باستفاضة منهجية بيكون ومل وهيوم ، ولوك ، وضرب لنا مثالاً بالرياح التجارية التي تنشأ عن حلول الهواء الحار، عند هبوبه من ناحية القطب وإلى دوران الأرض حول محورها؛ وقد نبرهن على أن النتيجة ليست ناشئة من السبب الذي نتصوره، وإنما نشأت عن عامل خاص بذلك، وهو أن انقلاب الهواء ناشئ عن الأوكسجين في الماء، وذلك بفضل الجمع بين الهيدروجين والكولورين، وفي ذلك إيضاح لحقائق أخرى؛ كحقيقة الكولورين لم يكن سبب ذلك التأثير، فالرطوبة ضرورية، وهنا يتضح وجود السبب الرئيس، فقانون المد (يقصد ظاهرة المد والجذر) دعامة للقانون الخاص، وبالتالي ينتهي إلى أن "قوانين العلم هي إثباتات لما يقع بالفعل"[٦٢].

فالمبدأ المقرر في العلم وهو تارة بسيط، وتارة مركب، ونحن نسترشد به، فالقاعدة والقانون تقوم على إعمال الخيال العلمي[٦٣]، وله عبارة موحية ومعبرة اعتبرها شعارًا لهذا البحث، حيث يقول: "التاريخ أصدق لسان ينطق؛ لمن عرف كيف يستنطقه؟"[٦٤].

الكنز في قواعد اللغة العبرية :

نشر أولاً تحت عنوان : أجرومية في اللغة العبرية والعربية ١٩١٤م. ثم أُعيد طباعته ليتم تدريسه علي طلاب القسم العالي بكلية دار العلوم بالقاهرة تحت عنوان : الكنز في قواعد اللغة العبرية، وواضح من كلمة محمد بدر في الكتاب أنه تم نشره وإهداؤه إلى السلطان فؤاد الأول (تولى الحكم من ٩ أكتوبر ١٩١٧م حتى ١٥ مارس ١٩٢٢م).

واللغة العبرية هي إحدى اللغات السامية وتنقسم إلى ثلاثة أقسام :

أ- اللغة العربية وهي مأخوذة من لغة العرب(*) الحميريين.

ب- اللغة العبرية ولها علاقة بالكنعانية والفينيقية.

ج- اللغة الآرامية(**) (السوريانية) : واليهود يسمونها الكلدانية[٦٥].

واللغات السامية تكتب من اليمين إلى اليسار، وذلك راجع إلى أن الكتابة كانت في الأصل تنقش على الأحجار بالمطرقة والأزميل، فمن طبع النقاش أن يمسك المطرقة باليمين ويطرق على الأزميل، فلذا تكون الكتابة بحسب سهولة العمل من اليمين إلى اليسار[٦٦].

(*) يُقال إن أول من تحدث بالعربية، هو سيدنا إسماعيل ابن سيدنا إبراهيم نبي الله عليه السلام، ولذلك يُعد جد العرب.

(**) يُقال إن اللغة التي تم بها الحديث بين نبي الله موسى وكليمه، مع الله رب العالمين بجبل الطور بسيناء، كانت هي اللغة الآرامية.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

٣- كتاب الفرق بين الفرق (للبغدادي) :

وهو تحقيق لنص الكتاب، ومنشور بالقاهرة في عام ١٩١٠م؛ وفيه يعول محمد بدر على تقنية المنهج النقدي لفحص الوقائع التاريخية وتمحيصها، فمثلاً يوجه نقده إلى مؤرخي العرب، ولاسيما مؤرخي الفلسفة، فيذكر أنه قد جاء في كتاب : الملل والنحل للشهرستاني (١٠٨٦-١١٥٣م)، في ص١٣٤ ما نصه بخصوص فيثاغورث "وهو أول من نطق في الأعداد والحساب والهندسة، ووضع الألحان، وكان في زمان ملك يُقال له أغسطس، فهرب منه فتبعه، وركب فيثاغورث البحر، حتى صار إلى هيكل في جزيرة، فأحرقه الملك بالنار (هكذا)، وكان لفيثاغورث (٥٧٠-٤٩٥ق.م) تلميذ يقال له أرشميدس (٢٨٧-٢١٢ق.م) فعل (صنع) المرايا المُحرقة، فأحرقت مراكب العدو في البحر، "وحسبك أن تقرأ مثل هذه الرواية لمؤلف وضع نفسه في مقام التحقيق التاريخي، لتعرف مقدار تاريخ الفلسفة عندنا؛ وما كان فيه الرجل من التخبط، والمعروف أن سقراط (٤٦٩-٣٩٩ق.م) كان بعد فيثاغورث بنحو نصف قرن، وأن بين فيثاغورث وأغسطس أكثر من أربعمائة وخمسين سنة، وبينه وبين أرشميدس نحو ثلاث مائة وخمسين سنة"[٦٧].

٤- كتاب فهرست الكتب العربية والفارسية والأردية الموجودة في مكتبة جامعة أدنبرج (أدنبرة) (باللغة العربية والإنجليزية)، طُبع على نفقة جامعة أدنبرج سنة ١٩٠٨م.

٥- كتاب : حقيقة الإسلام (بالإنجليزية)، طبع سنة ١٩١٠م.

حسن حسين :

ثمة ملاحظة بخصوص عدم استطاعة أحمد عزت عبد الكريم[*] (١٩٠٩م – ١٩٨٠م) - حصل على الدكتوراه في رسالة له بعنوان "التعليم في عصر محمد على" سنة ١٩٣٨م من كلية الآداب؛ وأشرف عليها المؤرخ المدقق العلامة محمد شفيق غربال (١٨٩٤-١٩٦٢م)-، ذكر أي معلومة صحيحة بخصوص حسن حسين غير إشارة واحدة خاطئة يقول فيها: "حسن حسين الكفراوي، حسن الكفراوي"[٦٨]، وحينما يؤلف حسن حسين كتابًا لانتقاد طه حسين حول رسالته للدكتوراه التي طُبعت بوصفها باكورة للإنتاج العلمي للجامعة المصرية وكلية الآداب، وانصبت حول أبي العلاء المعري وأدبه؛ وحينما يذكر ألبرت شقير في كتابه الهام جدًا : الدستور المصري سنة ١٩٢٣م والحكم النيابي في مصر وتاريخ ذلك من ١٨٦٦م إلى الآن يعني، حتى سنة ١٩٢٣م، نصًا ومقالاً لحسن حسين منشور في جريدة المقطم في ١٥ يوليو ١٩٢٣م باعتباره وثيقة من الوثائق[**]،

(*) اختير رئيسًا للجنة تسجيل تاريخ ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢م وحتى عام ١٩٧٦م؛ وتولى رئاسة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية من ١٩٦٥م حتى ١٩٧٦م.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وكانت الطامة الكبرى حينما ذكر العلامة محمد لطفي جمعة[*] (١٨٨٦ – ١٩٥٠م) ترجمة كتاب إرنست هيكل (١٨٣٤ – ١٩١٩م) الذي ترجمه حسن حسين قال "وأوعز إلى آخر (حسن حسين) باسم إرنست هيكل الذي كان من أئمة العلم المادي؛ ونشر شبلي شميل (١٨٥٠-١٩١٧م) كتاب بوخنر (١٨٦٠ – ١٩١٧م) الألماني وهو سابق لداروين وممهد لنظريته[٦٩]. أي أنه ذكر شبلي شميل، ولم يذكر حسن حسين. فالسؤال المطروح لماذا لم يذكر هؤلاء الأساطين الأربعة أي معلومة بخصوص حسن حسين؟!، وهذه النقطة ما زالت تمثل لغزًا أحاول فك طلاسمه.

مؤلفات حسن حسين :

١- **مقدمة كتاب محمد بدر : تاريخ الفلسفة في المنطق وما بعد الطبيعة**. ويبرز أهمية هذا الكتاب في هذه المقدمة فيقول: "علم المنطق يتنزل من الفلسفة منزلة الميزان (الكيل والمقياس)[٧٠].

٢- **مقدمة كتاب محمد بدر : الكنز في قواعد اللغة العبرية**. وتقع هذه المقدمة في ستة وأربعين صفحة؛ وهي مقدمة هامة جدًا في فهم تطور اللغة، والمدلول الحضاري لذلك.

حيث يقول محمد بدر: "كنت في حاجة لأن أقدم للكتاب بمقدمة في مقابلة اللغات السامية (العربية والعبرية والآرامية السوريانية) وأصل هذه اللغات وتطورها؛ وكان لابد لواضع هذه المقدمة أن يكون ملمًا بفقه اللغة ومقابلة اللغات، وأن يكون أديبًا وثقة في الأدب، لذلك كلفت صديقي الأستاذ حسن حسين للقيام بهذا العمل، وأنا أعرف الناس بحسن حسين وكفايته وتحصيله واستعداده، وأعلم أنه قلّ أن يوجد في مصر من يقوم بهذا العمل مثله؛ حتى من الذين تفيأوا العلم في جو أوروبا، ونالوا من هناك إجازات علمية، والرأي عندي أنه وفىّ الموضوع حقه"[٧١].

ويذهب حسن حسين إلى أن "حضارات الأمم ومدنيات الشعوب دليل حياتها، وعنوان مجدها ... ولقد ذهب إلى حدس بعض الناس أن نهضة الأمم وحياتها وتمدينها

(*) ألبرت شقير-الدستور المصري ١٩٢٣م والحكم النيابي في مصر، وتاريخ ذلك من سنة ١٨٦٦م إلي الآن-القاهرة ١٩٢٤م (إعادة طبع هيئة قصور الثقافة-القاهرة ٢٠١١م)- ص٤٠٧ وما بعدها مقال حسن حسين بخصوص الدستور الجديد.

(**) من الثابت أن الدكتور محمد لطفي جمعه تعلم اللغة الإيطالية خصيصًا، لترجمة كتاب ميكافيللي. (أنظر ميكافيللي – الأمير تاريخ الإمارات الغربية في القرون الوسطى – دار الحداثة – ط٢ – بيروت ١٩٨٥م).

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وسعادتها، إنما تقوم على دعامة المادة وأسسها من المحسوسات؛ وليس ذلك من الوجاهة في قليل ولا كثير، لأن كيان الشعوب وقوام حياة الأمم، إنما تدعمه إلى جانب المادة معنويات لا قبل لمخلوق فيه مسكة عقل أو رسيس من علم على إنكارها، اللهم إن كان جاحدًا أو مهاترًا، فالعقل الوثاب والوجدان العامر الفياض والشاعرية الحية المتأججة، كل أولئك كان من ثروات الأمم وتراث الأسلاف للأخلاف، لا مرية ولا خلجة شك فيها"[٧٢].

ويشير إلى أن لحضارة الأمم مظاهر متعددة تجعل الأمة أشبه بالكائن الحي، أما هذه المظاهر فهي كالتالي:

١- مظهر الأدب : فهو سبيل رقي الأمة في غاية كمالها من ناحية العواطف والشعور.
٢- مظهر السياسة : وهو سبيل رقيها من ناحية المناعة والقوة.
٣- مظهر الدين : وهو سبيل رقيها من ناحية العقيدة والسعادة والوجدان.
٤- مظهر العلم : وهو سبيل رقيها من ناحية العقل[٧٣].

والأمة عنده أشبه ما يكون بالكائن الحي وهي خاضعة لناموس وقواعد النمو والارتقاء (التطور) والزوال والبقاء، ونموها وتطورها مثل الكائن الحي، وتنشأ الأمم على الفطرة، ثم تحبو في الحياة وتنمو خاضعة لسنن الكائنات ونظام الكون، متأثرة بما يحوطها من عوامل طبيعية وفواعل اجتماعية وسياسية وتحتاج إلى العناية والتدبر[٧٤].

ولقد ذكر الأنثروبولوجيون أن ما وقع عليه الحصر من لغات الأرض بلغ ٤٠٠٠ إلى ٦٠٠٠ لغة. وفي أوروبا ٥٨٧ لغة، وفي آسيا ٩٣٧، وفي إفريقيا ٢٧٦، وفي أمريكا الشمالية والجنوبية ١٦٢٤، وإنما تختلف اللغات عن بعض في الثروة وفي اتساع نطاق دائرتها، فالإنجليزية مثلاً ٢٥ ألف كلمة، والألمانية ٨٠ ألف كلمة، والإيطالية ٤٥ ألف كلمة، والفرنسية ٣٠ ألف، والإسبانية ٢٠ ألف، والعربية ٨٠ ألف مادة (المستعمل منها ١٠ آلاف مادة فقط)، ولغة الأسبرنتو (محاولة إيجاد لغة عالمية) تتكون من ٣٢٠٠ مادة مقتبسة من جمع اللغات وأكثرها من اللاتينية والجرمانية واليونانية[٧٥].

٣-الولاء في نقد ذكرى أبي العلاء :

موضوع هذا الكتاب نقد كتاب المفكر طه حسين (١٨٨٩ – ١٩٧٣م) والخاص بتجديد ذكرى أبي العلاء المعري (٩٧٣ – ١٠٦١)[*] ومطبوع بالقاهرة في ١٩١٧م؛

(*) يتعامل المفكرون شرقًا وغربًا والباحثين مع فكر المعري على أنه ذو صبغة وعمق فلسفي، (انظر تحقيق كامل كيلاني – رسالة الغفران للشاعر الفيلسوف أبي العلاء المعري – مكتبة الأديب كامل كيلاني – القاهرة ٢٠١٠م (إعادة طباعة) الجزء الأول والثاني في ٦٩٣ صفحة من القطع الكبير. أنظر كذلك أبو العلاء المعري – لزوم ما لا يلزم (ثلاث أجزاء) شرح نديم عدي – دار طلاس للطبع والنشر – ط٢ – دمشق ١٩٨٨م).

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

والذي يفيد في هذا المقام هو تبنيه لمفهوم النقد القائم على الفهم والموضوعية ومقارنة الحجة بالحجة؛ وبالرغم من اعتزازه بالتراث العربي الواضح في كل كتاباته، إلا أنه لا يتورع عن الانتقاد حيث يجب، فيقول في ذلك: "إذا أنا قلت إن تاريخ الغرب أعرف من تاريخنا بعظمائنا، وأقرب منه إلى تحقيق الرواية إذا روى، وصدق الحديث إذا حدث وإصابة الرأي إذا استنبط. فإذا وقع بخاطرك أن تستنطق تاريخ آسيا مثلاً، مهبط النبوة والأنبياء وموئل الحكمة والحكماء ومقر الشعر والشعراء، ومتبوأ العلم والعلماء، فارجع إلى التاريخ الغربي تجد فيه ما يشفى العلة ... فإذا رغبت في الوقوف على آثار عالم، أو قيمة أديب، أو عمل حكيم ... فطالع ما دبجته عقول علماء الفكر منهم، تلق الكفاية؛ من أجل ذلك عرف التاريخ الغربي نوابغ الشرق فأحياهم بالذكرى الطيبة؛ - وأجلهم أيّما إجلال – فكان حظهم هنالك أوفر منه في أوطانهم ... وأصبحنا نستعير منهم ما نؤرخ به لعظمائنا ثم نقول : هذه بضاعتنا رُدت إلينا"(٧٦).

والأمة في كل طور من أطوار حياتها كائن حي خاضع لناموس النمو والترقي، والبقاء والفناء، متأثرًا بما يحوطه من عوامل طبيعية ووضعية، والأمة العربية الإسلامية على ناحية التعميم أمة خالدة التاريخ أنجبت الكثير من العقول التي تركت للبشرية كثيرًا من الأصول، ومن ضمن هؤلاء حكيم المعرة؛ وهو أبي العلاء المعري "ولولا ما بيني وبين الدكتور – يقصد طه حسين – من الصداقة القديمة، ولولا أن الكتاب فاتحة أعمال الجامعة – لمررنا بالكتاب مرور الكرام"(٧٧).

وإذا دققنا النظر في مفهوم الفلسفة ومعناها عند طه حسين، الذي انتقده حسن حسين "كان الأجدر به أن يقارن بين أبي العلاء وغيره من الفلاسفة والعلماء المحدثين، فكان الأجدر به عقد مقارنة بينه وبين شوبنهور المتشائم، فلقد انتهى بالمعري النظر في الحياة، كما انتهى بشوبنهور، فكلاهما يرى أنه ما دامت الحياة كفاحًا، لا راحة فيها، ولا هناء، وما دام الغالب اليوم يُغلب غدًا، والموت يهلك الغالب والمغلوب سواسية. فالحياة هباء، والعيش عبث، والعدم أفضل من الوجود"(٧٨).

ثم ينتقده في موضوع يشي بمعرفته بالفلسفة معرفة متعمقة حيث يقرر ذاكرًا "قول الدكتور : إن الفيلسوف من تعلم العلوم الطبيعية، والإلهية والخلقية. والحق إنه لقول هراء لا يتفق مع التحقيق التاريخي؛ ولا يتسق مع التعريف الفلسفي، ولو أنه اصطنع المنهج التاريخي، أو عُنى بالبحث الدقيق، لاستدرك المعاني الحقة، ولعلم أن الفيلسوف لا يُعد

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

فيلسوفًا وهو يجهل الرياضيات[*]، إذ هي من الأقسام الأساسية لعلوم الفلسفة القديمة؛ ولا تزال موضع عناية المحدثين من المتفلسفين، ولا نعلم فيلسوفًا قديمًا أو محدثًا كان على جهل بالعلوم الرياضية، ولو أنه رجع إلى تاريخ الفلسفة وتقسيمها قديماً، ما اطمأن إلى قوله هذا؛ حيث يعلم أن الفلسفة القديمة كانت مقسمة إلى طبيعيات ورياضيات وإلهيات، وهذه تسمى عندهم بالفلسفة النظرية (البرهانية). أما الفلسفة العملية فتتناول أشياء ثلاثة : أخلاق المرء خاصة (علم الأخلاق)، والثاني : وهو مع آل بيته (يسمى علم تدبير المنزل والتربية العقلية والنفسية)، ثالثًا : هو ومن معه في المدينة (ويسمى علم السياسة)"[٧٩].

ويردف: "ولعل الدكتور قد ذهب إلى بعض المؤلفات فوجدها غفلاً من العلوم الرياضية، فيكون له من ذلك شبه عذر، ولكن هذا لا يكون مع المحققين والعلماء، ذلك لو أنه أعنت فكره قليلاً ... لاستخلص من ذلك نتيجة كانت إلى الصواب أهدى ... لأنه لما دالت دول العرب وضعفت فيها العلوم، ونضب معينها الفلسفي، أهملوا الرياضيات كل الإهمال لصعوبتها ... وهكذا أهمل الدكتور الرياضيات، ولم يعرف أنها من الأقسام الهامة في الفلسفة"[٨٠]. ثم يؤكد أن طه حسين أخطأ حينما نظر لعلوم الفلك من حيث قدمها وتأثيرها في العالم – نظرة الفيلسوف – على أنها من الرياضيات النظرية، ويقرر حسن حسين بأن النظر في النجوم ليس من العلوم الرياضية، ولكنه من ضمن مباحث الطبيعيات[٨١].

٣-فصل المقال في فلسفة النشوء والارتقاء (مترجم) :

موضوع التطور احتل مساحة ليست بالقليلة في كتابات ومؤلفات العرب، والمصريين في بدايات القرن الفائت، فسلامة موسى (١٨٨٧-١٩٥٨م)، وإسماعيل مظهر (١٨٩١-١٩٦٢م) وغيرهم كثيرون قد انغمست أقلامهم في هذا الموضوع الأثير؛ بل كان محور ارتكاز نظرتهم العلمية؛ ولذلك فهما وغيرهما من الأعلام المتبحرين في هذا الفن. لن نتوقف أمامهما كثيرًا، نظرًا لأن كثيراً من الأبحاث انصبت حول أفكارهما بهذا الخصوص.

(*) كانت رسالة الدكتوراه لأستاذ الجامعة التونسي د. أبو يعرب المرزوقي في موضوع جديد في بابه، ونُشرت بعد ذلك، وتدور حول الرياضيات كمرتكز لفلسفة أرسطو، وبخاصة في موضوع المنطق ومناهج البحث والطبيعيات. (انظر د.أبو يعرب المرزوقي - ابستمولوجيا أرسطو من خلال منزلة الرياضيات في قوله العلمي - الدار العربية للكتاب – تونس ١٩٨٥م. وللفارابي كتاب في موضوع رياضي طريف وهو : كتاب الواحد والوحدة. والواحد بوصفه أصل علم العدد والحساب، والوحدة بوصفها (النقطة) أصل للخط المستقيم، أو الوحدة بمعنى الجوهر الفرد على حد وصف الفلاسفة العرب (الذرة). انظر الفارابي - كتاب الواحد والوحدة – حققه وقدم له وعلق عليه د. محسن مهدي – دار توبقال للنشر – الدار البيضاء - المغرب ١٩٨٩م).

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أما ترجمة حسن حسين لكتاب إرنست هيكل؛ عالم البيولوجي الألماني، والمفكر ذات الأثر، ويعتبر أول من نحت وسك مصطلح Ecology وصار متعارفًا عليه في كل المعاجم اللغوية كمرادف لعلم البيئة[٨٢]، ونشرت هذه الترجمة في عام ١٩٢٤م.

ويعرف حسن حسين بنظرية التطور عند دارون، ويرى أنها ترتكز على ثلاث قواعد هي :

أ- التوالد الذاتي وطريقة الوراثة.

ب- التنازع من أجل البقاء : وفيه يحدث أن أفراد النوع الواحد نفسها، تتنافس فيما بينها وبين الأنواع الحية والعوامل الطبيعية.

ج- الانتخاب الطبيعي : يفوز بالحياة في ذلك النزاع والصراع الكائن الأقوى، وينهزم الضعيف ويأخذ في التلاشي والانقراض[٨٣].

ولبيان أثر الأسلوب والطريقة العلمية يقول حسن حسين: "إننا نحتاج إلى تعرف الأساليب العلمية؛ الحديثة بشدة، حتى نصل إلى استنتاج علمي، ولعمري ليس أصح ولا أصلح في الكلام من بيان تُدعمه البرهنة العلمية، ويحوطه البحث العلمي بسياج من التفكير الصحيح النافع[٨٤].

ثم يورد آراء الفلاسفة المسلمين في التطور، وينقل رأي فلاسفة الغرب، خاصة في ذات الموضوع مثل لامارك (١٧٧٤-١٨٢٩م)؛ ولينوس (١٧٠٧-١٧٧٨م) وغيرهما، "ويقولون إن العادة والاستعمال يقويان العضو ويجعلانه ينمو، والعكس من ذلك عدم الاستعمال فإنه يؤدي إلى ضمور العضو، ومثال على ذلك فإن الحيوانات التي تعيش في المغارات المظلمة وقاع البحر تفقد حاسة الإبصار"[٨٥]، ثم نراه يقدم انتقادًا عقلانيًا لمن يُعلى من شأن الفلسفة المادية وحدها، حيث يذهب إلى أن "الماديين يقررون : إن الذاكرة عبارة عن اهتزازات فسفورية، تُختزن في الخلية العصبية بالدماغ؛ بعد وصول التأثيرات الخارجية إليها، فإن صح ذلك، وإذا تقرر أن كل ما فيها من خلايا عصبية وأنسجة عضلية وعظام، تنعدم وتتجدد في فترة معلومة لا تزيد على سبع سنوات، لاقتضى قوة للذاكرة أن تنقص فينا بالتدرج إلى أن تتلاشى كل سبع سنين، وأن نضطر إلى تجديد ما تعلمناه كل سبع سنين ... فالواقع ينطق بأنه برغم استبدال ذرات كياننا، فإن كل ما فينا يؤيد ثبات شخصيتنا"[٨٦]، وفي النص السابق نشتم رائحة الاستدلال القياسي بوضوح.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

العدل الإلهي وأين أثره في المخلوقات :

وهذا الكتاب في صميم أبحاث فلسفة العلوم، ويستخدم حسن حسين حقائق العلم لإبراز القيم الدينية والسمو الأخلاقي.

فيذهب إلى أن الطبيعة تتجه نحو غاية عليا (الإيمان بالله)، فيعطي مثالاً على ذلك : بأن أحد أساتذة جامعة السربون اكتشف طائرًا يسمى اكسيلوكوب من المحيرات للفكر قال: إن هذا الحيوان يُرى في الربيع، ويعيش منفردًا، ويموت بعد أن يبيض مباشرة، فلا يرى صغاره، ويعيش في مكان مُحكم – حتى إذا حان وقت البيض، عمدت الأنثى إلى قطعة من الخشب، فحفرت فيها سردابًا طويلاً، ثم عمرته بذخيرة تكفي صغارها سنة كاملة – وهي طلع الأزهار وبعض الأوراق السكرية - وتأتي بنشارة الخشب تجعلها سقفًا على تلك البيضة - ثم تجئ بذخيرة جديدة تضعها فوق ذلك السقف ثم تضع بيضة أخرى – وهكذا فتبني بيتها مكونًا من جملة أدوار، فإذا تم لها ذلك ودعته وهلكت. إن الإنسان ليُدهش إذ يرى هذه العجائب، ويرى من الناس القائلين بأنها كلها نتيجة المصادفة[٨٧].

ويُعرف العلم من منظور منطقي، فيرى أنه هو الصورة الماثلة من الشئ عند العقل، وهو قسمان: تصديقي؛ وتصوري. فإن كان إدراكًا للنسبة التقريبية على سبيل الإذعان فتصديق، وغير ذلك تصور. فالذين يريدون أن يصلوا إلى الحقيقة من طريق العلم والعقل، لابد لهم من دراسة هذه العلوم، ثم اتباعها بالعلوم المحدثة والفروع الكثيرة. والعلم خاضع لناموس التطور والارتقاء، وكل يوم يتدرج صوب الكمال النسبي خطوة وهو مع ذلك، ومع ما قطعه من عمره الطويل. لا يزال في مهده[٨٨].

إننا نعلم أن محيط الأرض ٢٤٠٠٠ ميلاً تقريبًا، فإذا أتيح لإنسان أن يقطع هذه المسافة برًا بالسكة الحديد، وبحرًا بالسفن البخارية – وكان متوسط سفره ٨٠٠ ميلاً في كل يوم، فإنه لا يستطيع أن يدور حول الأرض في أقل من شهر كامل. ذلك بأنها أصغر من الشمس، التي ترمقها في السماء كأنها قرص قطره شبر. فإن قطر الشمس الحقيقي يبلغ ٨٦٦٠٠٠ ميل، إذن فحجمها على هذا القياس أكبر من حجم الأرض فجِرمها أكبر من جِرم الأرض بنحو ٣٣٣٤٣٠ مرة، وإذا اتخذنا الشمس مركزًا ورسمنا حولها كرة قطرها ألفا سنة ضوئية[*]، فإذ تم الاتفاق على ذلك، كانت هذه الكرة شاملة جميع الكواكب

(*) السنة الضوئية Light Year : وهي وحدة لقياس الزمن بين الكواكب، وتم الاعتماد في هذا الحساب على قياس سرعة الضوء، بالاستناد إلى الثابت الفيزيائي والرياضي المتفق عليه، وهو أن الضوء يسير بسرعة ٢٩٩٧٩٢ كيلو متر في الثانية، ويتم ضرب هذا الرقم في عدد ثواني السنة فيساوي ما مجموعه السنة

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

التي نراها بالعين المجردة، أما إذا وسعنا هذه الكرة حتى يصير قطرها ٢٥٠٠٠ سنة ضوئية، فإن ذلك النطاق يشمل كل الكواكب الواقعة في نظام المجرة، والمجرة هذه تشبه حبة عدس قطرها ألف سنة ضوئية، أما المسافة التي بين وجهيها عند مركزها فهي عشرة آلاف سنة ضوئية وخارج هذه المجرة، من وجهة نظر علماء الفلك – أن الوحدة الأولى في هذا النظام الكوني (النجم) وما هو هذا الشئ الذي سميناه نجمًا، إن هو إلا كرة من الغاز المتقد متغاير الحجم - فقد لا يفوق الأرض حجمًا، وقد يفوق الشمس بأكثر من ألف ضعف[٨٩].

أما كثافة مادة النجوم فتختلف باختلاف هذه النجوم – فمنها ما تكون الكثافة فيه – بمقدار كثافة الهواء – ومنها تكون الكثافة فيه زائدة على كثافة الماء مقدار خمسين ألف ضعف.

ويرى العلماء أن الأكوان منتشرة في الفضاء انتشار الجزر في البحار مثلها مثل الأرخبيل – هذا رأي بعض العلماء الآن – وبعد ما وصل إليه الإنسان من استكشافات ومخترعات فمن غير المستبعد أن يكشف لنا المستقبل، عن أكوان أخرى لها نظام أعجب وأغرب من نظام الأكوان المعروفة لنا[٩٠].

الاتجاه الفلسفي عند العقاد (١٨٨٩ – ١٩٦٤م) :

ثمة حقيقة واضحة لكل من يطالع مؤلفات العقاد، فيلحظ أنه مغرم بالفلسفة أيمَّا غرام، فهو أول من ألف كتاباً في الثقافة العربية عن الفيلسوف فرنسيس بيكون في عام ١٩٤٥م. والمتصفح لهذا الكتاب، يدرك أن العقاد متملك تمامًا لناصية المنهج الفلسفي والأسلوب المنطقي؛ وأزعم أنه أفضل ما كُتب عن فرنسيس بيكون حتى الآن[*]، وله مقال بعنوان : الفلسفة مأمونة : يرى بأن الفلسفة فيما مضى كانت تُتخذ ذريعة للتنكيل من جراء الانتساب إليها .. فقد ظلموا باسمها من أصابوه، فإنما كانوا يحسدون الفيلسوف على مكانة مرعية، أو ينغصونه لعلة ظاهرة أو خفية، فيظلمونه ويظلمون الفلسفة معه، ولكنهم لم ينكبوا من الفلسفة في الواقع إلا من كان ذا منزلة محسودة ومقام ملحوظ، ومن دخل معهم

الضوئية، ولتحويل السنة إلى ثواني يتم ضرب ٦٠ دقيقة × ٦٠ ثانية يساوي الساعة الزمنية، ونضرب هذا الناتج × ٢٤ وهي عدد ساعات اليوم، ونضرب الناتج × ٣٦٥،٢٥ يوم وهي عدد أيام السنة، وبالتالي نحصل على الناتج الرياضي للسنة الضوئية الذي يساوي وفقًا لما هو متعارف عليه٩،٤٦٠٥٩ × ١٠ ١٢ كلم. (انظر د. شوقي محمد صالح الدلال – موسوعة علوم الفلك والفضاء والفيزياء الفلكية (الجزء الثاني) مؤسسة الكويت للتقدم العلمي – الكويت ٢٠١٠م – ص١٠٧٤ – ١٠٧٥).

(*) العقاد – فرنسيس باكون (بيكون) مجرب العلم والحياة – دار المعارف – القاهرة ١٩٤٥م.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

في مشكلات السياسة ومطامع الرئاسة، وإلا فما بالهم لم ينكبوا الكندي (٧٩٦-٨٧٣م) والفارابي (٨٩٢-٩٥٠م) ونكبوا ابن سينا (٩٨٠ – ١٠٣٧م) الوزير، وابن رشد (١١٢٦-١١٩٨م) قاضي القضاة!، فالكندي كان رجلاً ميسور الحال موفور المال، ولكنه اعتزل الناس ولم يشترك معهم في مطامع الرئاسة فتركوه يتفلسف كما يشاء.

والفارابي نظر إلى محيط السموات وأعرض عن الأرض ومن عليها، وقال في رياضته الهندسية:

وما نحن إلا خطوط وقعـ ـن على نقطة وقع مستوفز
محيط السموات أولى بنا ففيم التزاحم في المركز!

فكأن لسان حالهم قد قال : لك حريتك فيما تشتهي من محيط السموات، ودعنا وما نتزاحم عليه من هذه المراكز والنقاط!، ويذكر العقاد سبب نكبة ابن رشد والتي لم نرى تعليلاً لها تقريبًا لدى كل من تصدى لابن رشد بالبحث والكتابة والتأليف، فيقرر أنه قد جمع على نفسه بين حسد الوجاهة والنباهة وبين سخط العظماء ونكاية ذوي السلطان، فعندما نسخ : شرح كتاب الحيوان لأرسطو (٣٨٤-٣٢٢ق.م). وهذبه وقال عند ذكره الزرافة "رأيتها عند ملك البربر" .. وكان إذا حضر مجلس المنصور وتكلم معه أو بحث عنده في شئ من العلوم، يخاطب المنصور بأن يقول : تسمع يا أخي! ولا يخاطبه بألقاب الملوك والخلفاء، فجزاه "ملك البربر" دقة بدقة ونكاية بنكاية، ورآه يستكثر عليه أن يُنسب إلى العرب أو يسمى بخليفة المسلمين، فكأنه قال له : بل أنت الدخيل على أمة العرب وملة الإسلام بهذه الفلسفة (الهرطقة)، وعلى هذا فإن السياسة وليست الفلسفة كانت سبب النكبة[٩١].

ويقرر أن "صناعة الفلسفة ليست بضرورة من ضرورات المعاش، أو هي على الأقل ليست من الضرورات المحسوسة؛ تلك ضرورة وطن وزمن، وهذه ضرورة لا يشعر بها الإنسان إلا إذا تجاوز نطاق الأوطان وأصبح نطاقه الكون كله في كل زمان ...نعم في مصر فلسفة، وفيها عناية بالكتب الفلسفية"[٩٢].

ويلاحظ أن للعقاد مقالات استخدم فيها المنهج الفلسفي وطبقه على دراسته الأدبية واللغوية مثل :

١- فلسفة المتنبي (انظر : جريدة البلاغ، العدد ٤٦، ٢١ ديسمبر ١٩٢٣م)
٢- فلسفة المتنبي وفلسفة نيتشه (١٨٤٤-١٩٠٥م) (جريدة البلاغ، العدد ٤٧، يناير ١٩٢٤م).
٣- فلسفة المتنبي بين نيتشه ودارون (انظر جريدة البلاغ، العدد ٤٦، ٢٨ يناير ١٩٢٤م).

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

توفيق الحكيم (١٨٩٨-١٩٨٧م) والتعادلية :

وهناك كتاب لم يلتفت إليه الباحثون ولا أعرف لماذا، فمن وجهة نظري يعتبر آخر محاولة لمفكر مصري للتفلسف قد دُونت في هذا الكتاب والذي أسماه توفيق الحكيم بالتعادلية، ثم قدم تصورًا للتعادلية وتوافقها من عدمه مع الإسلام، وفي تعليق د. زكي نجيب محمود (١٩٠٥-١٩٩٣م) على هذا الكتاب نجده يقول : "ألا إن فلسفة الأمة هي مجموعة فلسفات أبنائها الذين استطاعوا أن يتخذوا موقفًا فكريًا، واستطاعوا أن يصوغوا ذلك الموقف في عبارة يتبادلها الناس، ويحملها الزمن إلى الأجيال اللاحقة، وإن كان هذا هكذا، فإننا لن نذكر الفلسفة العربية بعد اليوم، إلا وفي أذهاننا فكرة التعادلية التي بسطها أديبنا الحكيم في كتاب له بهذا العنوان"[٩٣].

يقول الحكيم في نص يعتبر من صميم أبحاث فلسفة العلوم يقرر فيه: "أنت تعادلي إذا كنت تعتقد : أن الوجود هو التعادل مع الغير ... الأرض لا تكون بغير تعادلها مع الشمس ... لا يوجد مخلوق وحده ... كل كائن، وكل صفة، وكل حالة، وكل وضع لا يوجد في عالم المحسوسات ولا في عالم المعاني إلا بالنسبة إلى غيره ... لابد من غيرك لتكون أنت ... التعادلية إذن تقوم على الغيرية ... والوجود التعادلي يتلخص في هذه العبارة : بغير الوجود لا يوجد وجود"[٩٤].

وفي واقع الأمر، أنه ثمة محاولات حثيثة قد بُذلت للتفلسف والدعوة إلى مذهب فلسفي في القرن الفائت بمصرنا المحروسة[*]، مثل محاولة الدكتور عثمان أمين (١٩٠٥-١٩٧٨م) والدعوة إلى ما أسماه بمذهب: الجوانية[٩٥]، وهذه الدعوة قد تركت صدى، وربما أحدثت رد فعل لدى الزعيم الإفريقي كوامي نكروما (١٩٠٩-١٩٧٢م)؛ فكان له كتاب بعنوان : الوجدانية فلسفة وعقيدة للتحرر والتطور خصوصًا بالنسبة للثورة الأفريقية[٩٦]. والمفارقة أن كتاب عثمان أمين الذي دون فيه مذهبه قد أسماه : الجوانية أصول عقيدة وفلسفة ثورة[٩٧]، والمدهش جدًا أن نكروما قد صاغ نسقا استنباطيًا استوحاه

(*) من المؤلفات الفلسفية (المترجمة) التي تركت أثرًا في أحد رجالات مصر في القرن الفائت، بل وكل تاريخها المعاصر، فلا يمكننا البتة إغفال أثر كتاب : الحرية لجون ستيوارت مل في عام ١٩٢٢م، وهذه الترجمة من الدقة والإمتاع وسلاسة العرض، وشملت بين جوانحها مضامين فلسفية ابستمولوجية، وسياسية اجتماعية، ومنهجية، بل وحتى حياتية، لدرجة جعلت الرئيس الراحل أنور السادات (١٩١٨-١٩٨٠م) يقرر في كتابه البحث عن الذات، أنه قد تأثر بهذا الكتاب أيّما تأثر. (انظر إميل دوركايم – الحرية – ترجمة وتعريب الأستاذ طه السباعي مطبعة الشعب – القاهرة ١٩٢٢م. وأنظر دوركايم – قواعد المنهج في علم الاجتماع – ترجمة وتقديم د. محمود قاسم – مراجعة د. السيد محمد بدوي – تقديم د. محمد الجوهري – المركز القومي للترجمة – سلسلة ميراث الترجمة رقم ١٨١٠ – المجلس الأعلى للثقافة – القاهرة ٢٠١١م).

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

من المنطق الرمزي (الرياضي) وقواعده، وطبقه على أفكاره الفلسفية في كتابه ومذهبه المذكور آنفاً[٩٨]، وبالتالي فإن أطروحة عثمان أمين قد أحدثت دويا خارج مصر أكثر مما أحدثته بداخلها.

وكذا الدكتور زكي نجيب محمود في دعوته إلى منهج فلسفي أسماه : الوضعية المنطقية. وفيه همش – لا أقوال استبعد – الميتافيزيقا، ففي هذا الاتجاه يدعو لكل ما هو قابل للفهم والتفسير، وأداة هذا الفهم هو التحليل، ومن ثم عُدت دعوته هي دعوة للتحليل؛ فهي فلسفة تحليلية[٩٩].

وبالنسبة لممارسة السياسة على دعائم منهجية[*]، فلقد تُرجم كتاب : المطارحات لميكافيللي (١٤٧٣١٥٢٧م) منذ عقود خلت إلى العربية، وفي هذا الكتاب ندرك تمامًا لماذا عُد ميكافيللي مؤسساً لعلم السياسة، وذلك لتبنيه منهجًا وطبقه على أطروحاته السياسية التي هي في جوهرها تقوم على الواقعية – بحث فقط ما هو كائن بالفعل -، ولا علاقة لها بالمثالية الأخلاقية – ما ينبغي أن يكون – وبالتالي فإن السياسة نفعية ترمي إلى تحقيق الهدف بغض النظر عن الوسائل مشروعة كانت أم غير مشروعة؟، وكتاب المطارحات

(*) تأخذني الدهشة وينعقد لساني، ولا أعرف ماذا أقول عن أحد النصوص للرحالة البرتغالي والقائد ألفونسو ألبوكيرك (١٤٥٣-١٥١٥م) بخصوص مصر، سوى أنه استشراف منهجي عبقري للأحداث ووقائع التاريخ؛ فحول هذا النص تدور الآن معركة حامية الوطيس، أتوقع اشتعال أوارها، لأن هذا التحدي الضخم ليس له حل وسط – وننتظر جميعًا الاستجابة لهذا التحدي الجلل – فإما أن تتحول مصر إلى عملاق فاعل في التاريخ، أو سنتحول إلى مفعول به سيفرض علينا خصمنا وعدونا ما شاء أن يفرض، فالأيام حُبلى بالأحداث والتطورات الدراماتيكية، وكلنا شوق إلى خروج المارد المصري من قمقمه الذي سُجن وحُبس فيه طويلاً، فلقد كان ألبوكيرك يأمل في "أن يأمر الملك البرتغالي بتنفيذ مشروع التوغل إلى سلسلة الجبال التي تجري على جانبي النيل في بلاد الحبشة لتحويل مجرى نهر النيل، وبذلك لا تجد القاهرة مياهاً لري أراضيها، ولو أن هذا المشروع قد تم تنفيذه، لأضحت أرض مصر خرابًا، فالبدو الذين يعيشون في الصحراء بين (مدينة) قنا و(مدينة) القصير، كانوا من القوة بمكان بحيث يمكنهم قطع النهر وتحويل مجراه عندما يكونوا في خلاف مع سلطان القاهرة الكبير"، ومن يطالع وجهة نظر ألبوكيرك سيدرك أن مشروع بناء سد على النيل لتعطيش مصر وتجويعها، يأتي في إطار خطة أشمل وهي كيفية حصار العالم العربي برمته، عن طريق ضرب حاملة لواء الدفاع والمتصدي أبدا للهجمات الاستعمارية وهي مصر، ومن ثم الاستيلاء على كنوز وخيرات الشرق. وبالتالي فإن هذا المخطط وتاليه مشروع ليبنتز في القرن السادس عشر المتعلق بغزو مصر، يمثلان بوضوح تام وجهة النظر إلى مصر وأهميتها ومحورية دورها، ولذلك ظل السؤال الأثير لدى صانعي سياسة الغرب الاستعمارية: كيف يمكن استبعاد مصر وإخراجها من معادلة الصراع؟، وطبعًا تطورت الأجوبة عبر الزمان حسب تطور الظروف والملابسات. (انظر : الرحالة ألفونسو ألبوكيرك – السجلات (الرواية البرتغالية لأحداث الغزو البرتغالي لسواحل الخليج العربي والمحيط الهندي) – ترجمة د. عبد الرحمن عبد الله الشيخ – مراجعة د. أحمد عبد الرحمن السقاف – هيئة أبو ظبي للسياحة والتراث – دار الكتب الوطنية – أبو ظبي ٢٠١٢م – ص٥٨٤ وما بعدها).

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

عبارة عن تطبيق منهجي حرفي لهذه الأطروحة، وساق عدة أمثلة من التاريخ الروماني ليدعم بها وجهة نظره، بل الأمر قد تعدى ذلك، ففي دراسة لأحد الأكاديميين المرموقين – عميد كلية كامبيون بجامعة أكسفورد – لكتاب المطارحات أوضح فيه أن طريقة ميكافيللي ومنهجيته هي بمثابة القواعد التي أرسى عليها دعائم تصوره ونظرته إلى مفهوم السياسة[١٠٠].

ولذلك فلن نمل من التأكيد على أن الإستراتيجية لهي المنهجية في أبهى صورها، وإذا لم نتفهم ذلك سنظل ندور في حلقة مفرغة، قابعين في هذا الدرك الأسفل حالك الظلام، وباعتيادنا – حاشانا ذلك- على هذه الظلمة ستفقد أعيننا حاسة الإبصار، فالمنهجية هي المصباح المستخدم للسير في غياهب العتمات.

وثمة ملاحظة أخيرة بخصوص بعض الأبحاث والدراسات التي حاولت صياغة مخطط لمعالم الطريق المنهجي وتوطينه في البيئة العربية والإسلامية[١٠١]، فتشير هذه الملاحظة إلى أنه قد استبان واتضح لنا من خلال استقراء وقائع تاريخ[*] تطور العلم، أن الفلسفة بمنهجيتها والعلم كثمرة مرجوة، لا يمكن لنا البتة تخيل الإخلال بأي منهما، لأنهما ببساطة جناحي أية نهضة نطمح لإرساء قواعدها، ولا يمكننا التحليق بدونهما، وهذا ما حاول خالد الذكر على مصطفى مشرفة (١٨٩٨-١٩٥٠م)[١٠٢] جاهدًا التأكيد عليه؛ ولذلك كانت جُل كتاباته العلمية والفكرية - من خلال مؤلفاته - يرحمه الله- يمكننا أن نصنفه بثقة على أنه فيلسوف علم متملك تامًا لأدوات هذه الفلسفة العلمية – دعوة صريحة لمراعاة الضبط الفكري المنهجي بوصفه تكئة لتدشين قاعدة علمية، لنصل إلى الهدف النهائي؛ بحصولنا على التطبيقات العلمية الصناعية، بوصفها ضرورة حياتية، ومن ثم صياغة البنيان الضخم، ألا وهو البنيان الحضاري، فهكذا فعلت الأمم من قبلنا، وهكذا يجب أن نفعل ... الآن الآن وليس غدًا.

(*) بالنسبة لتدوين وفهم وقائع التاريخ ولأننا أمة وشعبًا قد صنع التاريخ قديمه وحديثه حيث يقول هيرودوت (٤٨٩-٤٢٥ق.م) حينما زار مصر إبان القرن الخامس قبل الميلاد "كان المصريون يعتقدون أنهم أقدم شعب في الوجود". (انظر هيرودوت – مصر – ترجمة د. محمد صقر خفاجة – مراجعة د. أحمد بدوي – إعادة طباعة المجلس القومي للترجمة – سلسلة ميزان الترجمة رقم ١١٣١ - المجلس لأعلى للثقافة – القاهرة ٢٠٠٧م، ص٥١).

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

قائمة المصادر والمراجع

(١) شوبنهور – مقال عن العبقرية ضمن كتاب فن الأدب (من مختارات شـوبنهور) – أعـدها بالإنجليزيـة بيلـي سوندرز – ترجمة وتعليق شفيق مقار – مراجعة عبد الحميد الإسلامبولي – الدار القومية للطباعة والنـشر – القاهرة – بدون تاريخ – ص١٩٦.

(٢) برونوفسكي – العلم والبداهة – ترجمة أحمد عمار الدين أبو النصر – مراجعة وتقديم حسين سـعيد – سلـسلة ميراث الترجمة – قدم هذه الطبعة د. محمد السيد أحمد – المركز القومي للترجمـة – سلـسلة رقـم ١٧٦٨ – المجلس الأعلى للثقافة – القاهرة ٢٠١١م – ص٦٨، ٦٩.

(٣) المرجع السابق، ص٨٠.

(٤) د. جميل صليبا – المنطق - منشورات عويدات – بيروت ١٩٦٧م – ص٨٣. وانظر ديكارت – حديث الطريقـة – ترجمة وشرح وتعليق د. عمر الشارني – مركز دراسات الوحدة العربية – بيروت ٢٠٠٨م – ص٤٣.

(٥) بيفردج – فن البحث العلمي – ترجمة زكريا فهمي، مراجعة د. أحمد مصطفى أحمد – سلسلة الألف كتاب الأولى – رقم ٤٥٤ – دار النهضة العربية – القاهرة ١٩٦٣م – ص١٣. وانظر فرنسيس بيكون – الأورجاتون الجديد (إرشادات صادقة في تفسير الطبيعة) – ترجمة د. عادل مصطفى – دار رؤية – القاهرة ٢٠١٣م.

(٦) أبي إسحق الكتبي (ابن الوطواط) - الغرر (الخصائص) الواضحة وعرر النقائص الفاضحة (وهو كتاب من أوائل المطبوعات في المطبعة الأميرية) – إعادة طبع الهيئة العامة لقصور الثقافة – سلسلة الـذخائر رقـم ٢١٥ – القاهرة ٢٠١٢م – ص٨١.

(7) Hyman Ruchlis - Clear Thinking – Published by Harper and Row – New York 1962 – P.177.

(8) G – Polya – How To Solve It? - Princeton University Press Published – New Jersey, U.S.A. 1957, P.22.

(٩) كلفورد – رواد المعرفة عبر القرون من أرشميدس حتى هوكينج - الجزء الثاني – ترجمـة د. إيمـان نـوري الجنابي – وزارة الثقافة والإعلام – الرياض ٢٠٠٨م – ص٦١٢م.

(١٠)د. ستيفان هيلد برانت، د. أنتوني ترومبا – الرياضيات والشكل الأمثل – ترجمة د. خضر الأحمـد، د. عـدنان الحموي – المجلس الوطني للثقافة والفنون – سلسلة الكتب العلميـة المترجمـة – الكويـت ٢٠٠٠م – ص المقدمة.

(١١)المرجع السابق - ص٢٢، ٢٣.

(١٢)فولتير – ضمن الرسائل الفلسفية (مقال حول ديكارت ونيوتن) - ترجمة عادل زعيتر – دار المعارف – القاهرة ١٩٥٩م – ص٩١ إلى ص٩٥. وهناك مقالان آخران لفولتير بخصوص نيوتن: حول نظام الجاذبية، والثاني: حول بصريات مستر نيوتن ضمن هذا المصدر.

(١٣)الأمير عمر طوسون – البعثات العلمية في عهد محمد على ثم في عهدي عباس الأول وسـعيد – الإسـكندرية ١٩٣٤م – ص٤٧٧.

(١٤)د. جميل صليبا – الإنتاج الفلسفي خلال المائة سنة الأخيرة في العالم العربي (الفلسفة العامة وفلـسفة العلـوم) المجلد السادس والثلاثين/ الجزء الرابع، المجلد السابع والثلاثين / الجزء الأول – مجلة مجمع اللغة العربية – ومنشورات المجمع العلمي العربي – دمشق ١٩٦٢م – ص٤٥.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

(١٥)على باشا مبارك - قصة عَلَمْ الدين – الجزء الأول – المطبعة الأميرية ١٨٨٤م – مقدمة د. عبد البديع عبدالله – ص١١.

(١٦)المصدر نفسه - ص١١، ١٢.

(١٧)انظر رفاعة الطهطاوي – تخليص الإبريز في تلخيص باريز – تقديم د. يونان لبيب رزق – دار الكتب والوثائق القومية – القاهرة ٢٠٠٦م.

(١٨)على باشا مبارك – قصة عَلَمْ الدين – ص١٠، ص١٣.

(١٩)المصدر السابق - ص٩١. وانظر

Bernard Napoleon, The Middle East and the West, (Bloomingtn : Indiana University Press, 1964) : P. 329.

(٢٠)المصدر السابق - ص٩٣، ٩٤. وأنظر Bernard Napoleon, The Middle East and the West,P.341.

(٢١)المصدر السابق - ص٣٣٧.

(٢٢)انظر جيرمي بنتام – أصول الشرائع – ترجمة المستشار أحمد فتحي زغلول – الهيئة العامة للمطابع الأميرية ١٨٩٢م.

(٢٣)المصدر السابق - ص٨.

(٢٤)المصدر السابق - ص٨.

(٢٥)المصدر السابق - ص٨، ٩.

(٢٦)المصدر السابق - ص٩، ١٠، وانظر

Sir Valentine Chirol, The Egyptian Problem, (London, 1920), P.255.

(٢٧)المصدر السابق - ص١٢. وأنظر Sir Valentine Chirol, The Egyptian Problem, P. 259

(٢٨)المصدر السابق - ص٣٦.

(٢٩)المصدر السابق - ص٤٧.

(٣٠)المصدر السابق - ص٢٩١، ٢٩٢.

(٣١)الشيخ طنطاوي جوهري - أين الإنسان (مقدم لمؤتمر الأجناس العام) - مطبعة ومكتبة المعارف – القاهرة ١٩١٠م – ص٥١.

(٣٢)المصدر السابق - ص٤٦.

Se CUA, Box 6, Folder 86, Syllabus (1910-1911) for the course Historie des Doctrines Philosophiques, 33.

(٣٣)المصدر السابق - ص١٤٣، ١٤٤.

(٣٤)المصدر السابق - ص١٥٢. وانظر :

Se CUA, Box 6, Folder 86, Syllabus for the course Historie des Doctrines Philosophiques, 14.

(٣٥)المصدر السابق - من ص١٧١ : ١٧٣.

(٣٦)المصدر السابق - ص١٤٦. وأنظر كذلك كانط – فكرة تاريخ كوني من وجهة نظر كوسمو سياسية – دراسة وتعريب زهير المديني – مكتبة علاء الدين – صفاقس – تونس ٢٠١٢م ص٤٣ إلى ص٥١.

(٣٧)المصدر السابق - ص١٧٣.

(٣٨)الشيخ طنطاوي جوهري – أين الإنسان؟ – ص٤٦.

(٣٩)المصدر السابق - ص٢٧١. وانظر

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

On Dar al-Ulum, see Lois A. Aroian, The Nationalization of Arabic and Islamic Education in Egypt : dar al-Ulum and Al Azhar, Cairo Papers in Social Science, Vol. 6 Monogrph 4 (Dec. 1983), and Tuqwim Dar al-Ulum (Cairo, 1952).

(٤٠)المصدر السابق - ص٢٢٠.

(٤١)انظر تقرير مجلس الجامعة المصرية المنعقد برئاسة شرف ولي العهد الأمير أحمد فؤاد باشا يوم الأربعاء ١٤ ربيع الأول ١٣٢٩هـ/١٥ مارس ١٩١١م - مطبعة المعارف بالفجالة - القاهرة ١٩١١م.

(٤٢)المصدر السابق ٢ ربيع الثاني ١٣٣٠هـ/٢١ مارس ١٩١٢م وانظر كذلك

Donald Malcolm Reid "Cairo University and the Orientlists" International Journal of Middle East Etudes. February, 1987.

(٤٣)ابن سينا منطق المشرقين – المطبعة السلفية – القاهرة ١٩١٠م.

(٤٤)د. منصور باشا فهمي – خطرات نفس – الهيئة العامة للكتاب – القاهرة ١٩٣٦م. وانظر كذلك مجموعة بحوث بعنوان (أبحاث وخطرات) ملقاة لتأبين د. منصور باشا فهمي للأستاذ محمود تيمور، الأستاذ محمد توفيق دياب، ود. إبراهيم بيومي مدكور، ود. أحمد فؤاد الأهواني، بالإضافة لمجموعة بحوث وكتابات ونصوص للدكتور منصور باشا فهمي – الهيئة المصرية العامة للكتاب – القاهرة ١٩٧٣م.

(٤٥)الأمير عمر طوسون – البعثات العلمية، ص٤٤٤.

(٤٦)المصدر السابق – ص٤٤٣، ٤٤٤.

(٤٧)محمد رضا كحالة – معجم المؤلفين - تراجم مصنفي الكتب العربية - المجلد ٩ ،١٠ - مكتبة المثنى - دار إحياء التراث العربي - بيروت ١٩٥٧م - ص٧٠.

(٤٨)الشاعر حافظ إبراهيم : ديوان حافظ إبراهيم - الجزء الأول - ضبطه وصححه أحمد أمين، أحمد الزين - إبراهيم الإبياري - مطبعة دار الكتب المصرية - القاهرة ١٩٣٧م - ص٧١.

(٤٩)المصدر السابق - ص١٧١.

(٥٠)المصدر السابق - ص٢٠٠، ٢٠١.

(٥١)انظر الطبيب محمد بدر - تاريخ الفلسفة في المنطق وبما بعد الطبيعة (بالإنجليزية) - ترجمة حسن حسين - المطبعة المصرية - الطبعة الأولى - صفحة الغلاف.

(٥٢)الأستاذ حسن حسين – مقدمة - ترجمة كتاب محمد بدر - تاريخ الفلسفة في المنطق وما بعد الطبيعة - صفحة ص

(٥٣)المصدر السابق، صفحة س.

(٥٤)د. جميل صليبا الإنتاج الفلسفي خلال المائة سنة الأخيرة في العالم العربي (الفلسفة العامة وفلسفة العلوم) - مجلة مجمع اللغة العربية - المجلد السادس والثلاثين - الجزء الرابع - المجلد السابع والثلاثين - الجزء الأول - منشورات المجمع العلمي العربي - دمشق ١٩٦٢م - ص٥.

(٥٥)الطبيب محمد بدر - تاريخ الفلسفة في المنطق وما بعد الطبيعة - ترجمة حسن حسين – ص٤٣، ١٤٤.

(٥٦)المصدر السابق - ص١، ٢.

(٥٧)المصدر السابق - ص١٥.

(٥٨)المصدر السابق - ص٢٠.

(٥٩)المصدر السابق - ص٢٠. وانظر:

Cairo University Archives (Hereafter CUA), Records for 1908-1925 in the university's central library, Box 1, Folder 1, Minutes of the Technical Committee, April 19, 1910, PP.4-5.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

(٦٠)المصدر السابق - ص٢٢.

(٦١)المصدر السابق - ص٨٤.

(٦٢)المصدر السابق - ص٨٦، ٨٧. وانظر Ibid, 26

(٦٣)المصدر السابق - ص٨٧.

(٦٤)المصدر السابق - ص٩٣. وانظر:

Donald Malcolm Reid "Cairo University and the Orient lists" International Journal of Middle East Etudes. February, 1987.

(٦٥)الطبيب محمد بدر - الكنز في قواعد اللغة العبرية - المطبعة التجارية الكبرى بعابدين – القاهرة - بدون تاريخ - ص٥٢.

(٦٦)المصدر السابق - ص٥٤.

(٦٧)البغدادي - الفرق بين الفرق - تحقيق محمد بدر - طُبع على نفقته الخاصة – المقدمة - وانظر محمد بدر تاريخ الفلسفة في المنطق وما بعد الطبيعة - صفحة ق، ص .

(٦٨)د. أحمد عزت عبد الكريم : تاريخ التعليم في مصر - الجزء الثاني (عصري عباس الأول وسعيد) - تقديم د. محمد شفيق غربال - الهيئة العامة لقصور الثقافة - القاهرة ٢٠١١م - ص ٨٠، ٢٩٣.

(٦٩)د. محمد لطفي جمعة : المذكرات - سلسلة تاريخ المصريين - الهيئة المصرية العامة للكتاب - القاهرة ٢٠٠٠م - ص٤٠٩.

(٧٠) الأستاذ حسن حسين - مقدمة كتاب تاريخ الفلسفة في المنطق وما بعد الطبيعة - لمؤلفه محمد بدر - صفحة ك.

(٧١)الطبيب محمد بدر : الكنز في قواعد اللغة العبرية - كلمة للمؤلف - ص٤.

(٧٢)الأستاذ حسن حسين : مقدمة في مقابلة اللغات السامية (في نهضة الأمم وحياتها) - ضمن كتاب محمد بدر - الكنز في قواعد اللغة العبرية - ص٥.

(٧٣)المصدر السابق - ص٦.

(٧٤)المصدر السابق - ص٧. وانظر:

The First Egyptian Student Mission to France Under Muhammad Ali, Middle Eastern Studies, Vol. 16, No.2, Special Issue on Modern Egypt Studies in Politics and Society (May, New York, 1980), PP.1-22.

(٧٥)المصدر السابق - ص١٨، ١٩. وانظر:

The First Egyptian Student Mission to France Under Muhammad Ali, Middle Eastern Studies, Vol. 16, No.2, Special Issue on Modern Egypt Studies in Politics and Society, P.12

(٧٦)الأستاذ حسن حسين - الولاء في نقد ذكرى أبي العلاء – مطبعة المعاهد بدرب الأتراك – القاهرة ١٩١٧م - ص٤، ٥.

(٧٧)المرجع السابق - ص٩.

(٧٨)المرجع السابق - ص٣٥.

(٧٩)المرجع السابق – ص٣٦، ٣٧.

(٨٠)المرجع السابق – ص٣٨.

(٨١)المرجع السابق – ص٥٠، ٥١.

(٨٢)د. كلفورد – رواد المعرفة عبر القرون من أرشميدس حتى هوكينج – الجزء الثاني – ترجمة د.إيمان نوري الجنابي – ص٧٩٣.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

(٨٣)الأستاذ حسن حسين – مقدمة كتاب الكنز في قواعد اللغة العبرية للمؤلف محمد بدر - ص٦.

(٨٤)الأستاذ حسن حسين – مقدمة كتاب إرنست هيكل – فصل المقال في النشوء والارتقاء – مطبعة الشباب – القاهرة ١٩٢٤م – ص٨.

(٨٥)الأستاذ حسن حسين - المرجع السابق – ص٣١.

(٨٦)الأستاذ حسن حسين - المرجع السابق – ص٤٠.

(٨٧)الأستاذ حسن حسين – العدل الإلهي وأين أثره في المخلوقات – مطبعة المؤيد والمقتطف – القاهرة ١٩٢٩م – ص١١.

(٨٨)المرجع السابق – ص٣١.

(٨٩)المرجع السابق – ص٣٥، ٣٦.

(٩٠)المرجع السابق – ص٣٩.

(٩١)انظر الأستاذ عباس محمود العقاد – الفلسفة مأمونة - ضمن دورية الرسالة – العدد ٦٤٩ القاهرة ١٩٤٥م.

(٩٢)انظر الأستاذ عباس محمود العقاد - في مصر فلسفة – ضمن المرجع السابق.

(٩٣)د. زكي نجيب محمود – تقديم كتاب التعادلية - للأستاذ توفيق الحكيم – مكتبة الآداب – القاهرة ١٩٨٣ - ص٣٠.

(٩٤)الأستاذ توفيق الحكيم – التعادلية - ص١٤٤.

(٩٥)د. عثمان أمين – الجوانية أصول وعقيدة وفلسفة ثورة – دار القلم بيروت – ١٩٦٣م.

(٩٦)الزعيم كوامي نكروما – الوجدانية فلسفة وعقيدة للتحرر والتطور خصوصًا بالنسبة للثورة الإفريقية – نقله عن الإنجليزية د. كريم عزقول – دار الثقافة – بيروت – ١٩٦٤م.

(٩٧)د. عثمان أمين – الجوانية – ص الغلاف.

(٩٨)الزعيم كوامي نكروما – الوجدانية ص٢٠٠ إلى ص٢١٩.

(٩٩)انظر د. زكي نجيب محمود خرافة الميتافيزيقا – دار النهضة المصرية ١٩٥٢م، وتم تغيير عنوان الكتاب تحت وطأة الانتقادات إلى : موقف من الميتافيزيقا. وانظر د. زكي نجيب محمود – المنطق الوضعي – الجزء الأول والثاني – ط٢ – ١٩٥٧م. وانظر كذلك د. زكي نجيب محمود نحو فلسفة علمية - مكتبة الأنجلو المصرية – القاهرة ١٩٥٨م. وأنظر كذلك جون ديوي – المنطق نظرية البحث – ترجمة د. زكي نجيب محمود دار المعارف – القاهرة – ط٢ – ١٩٦٩م.

(١٠٠) ميكافيللي – المطارحات – تعريب خيري حماد – منشورات دار الآفاق الجديدة – ط١ – بيروت ١٩٦٢م.

(١٠١) انظر د. رشدي راشد - توطين العلوم في العالم العربي دراسة تاريخية تحليلية – ضمن كتاب الثقافة العلمية واستشراف المستقبل - كتاب العربي سلسلة رقم ٦٧ – الكويت ٢٠٠٧م. وانظر د. يمنى طريف الخولي – نحو توطين المنهجية العلمية في العالم الإسلامي .. رؤية فلسفية – دورية عالم الفكر – المجلد ٤٣ – العدد ٢ – الكويت ٢٠١٤م. وانظر د. ماهر عبد القادر – مقدمة ترجمة كتاب كارل بوبر – منطق الكشف العلمي – دار المعرفة الجامعية – ط٣ – الإسكندرية ٢٠٠٣م. وانظر كذلك د. ماهر عبد القادر – فلسفة العلوم الطبيعية (المنطق الاستقرائي) – دار المعرفة الجامعية – الإسكندرية ١٩٧٩م.

(١٠٢) انظر د. على مصطفى مشرفة – الأعمال الكاملة – دار الكتب والوثائق القومية - القاهرة ٢٠٠٠م.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الجامعة المصرية

تحت رعاية الحضرة الفخيمة الخديوية

ورئاسة الشرف

لسمو الامير ولي العهد

ورئاسة العمل

لدولة الامير أحمد فؤاد باشا

تقرير مجلس الادارة

المقدم للجمعية العمومية بجلستها المنعقدة بدار الجامعة

في يوم الاربعاء ١٤ ربيع اول سنة ١٣٢٩ الموافق ١٥ مارس سنة ١٩١١

عن حالة الجامعة المصرية في السنة المكتبية

١٩١٠ — ١٩١١

مطبعة المعارف بشارع الفجالة بمصر

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الجامعة المصرية

تحت رعاية الحضرة الفخيمة الخديوية

ورئاسة الشرف

لسمو الامير ولي العهد

ورئاسة العمل

لدولة الامير أحمد فؤاد باشا

تقرير مجلس الادارة

المقدم للجمعية العمومية بجلستها المنعقدة بدار الجامعة

في يوم الخميس ٢ ربيع الثاني سنة ١٣٣٠ الموافق ٢١ مارس سنة ١٩١٢

عن حالة الجامعة المصرية في السنة المكتبية

١٩١١ — ١٩١٢

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

كشف بيان عدد الطلبة المقيدين في الجامعة المصرية ابتداء من ٢٦ نوفمبر سنة ١٩١٠ لغاية ٢٥ فبراير سنة ١٩١١

	رجال	نساء	جملة
(أ) كلية الاداب والفلسفة			
تاريخ الامم الاسلامية	٥٤	٠٠	٥٤
تاريخ آداب اللغة الفرنسية	٢٥	٢٢	٤٧
آداب اللغة العربية	٣٥	٠٠	٣٥
تاريخ آداب اللغة العربية	٣١	٠٠	٣١
الفلسفة العربية والاخلاق	٣١	٠٠	٣١
علم مقارنة اللغات السامية	٣١	٠٠	٣١
تاريخ التعاليم الفلسفية	٣٠	٠٠	٣٠
الجغرافيا وعلم الشعوب	٢٩	٠٠	٢٩
تاريخ الشرق القديم	٢٩	٠٠	٢٩
تاريخ آداب اللغة الانكليزية	١٩	٢	٢١
(ب) قسم العلوم الاجتماعية			
الاقتصاد السياسي	٢٧	٠٠	٢٧
الاقتصاد الزراعي	٣	٠٠	٣
(ج) قسم السيدات			
عدد			
٣٦ مصريات		٥٣	٥٣
١٧ اوروبيات			

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

التعليم فى الجامعة

يشتمل نظام التعليم فى الجامعة ثلاثة أقسام وهى :

(ا) قسم الآداب

(ب) فرع العلوم الاقتصادية والسياسية والاجتماعية

(ج) الفرع النسائى

والى حضراتكم بعض البيانات عن هذه الاقسام الثلاثة

قسم الآداب

تعلمون حضراتكم انه كان ينقصنا فى مبدإ انشاء جامعتنا الوسائل اللازمة لتأسيس قسم أو أكثر يمكن لنا معه منح اجازات دراسية لطلابنا فاكتفينا وقتيا بتنظيم دروس مختلفة الانواع على سبيل التجربة فكانت منها بعض الفائدة غير أنها كانت بطبيعة الحال بعيدة عن الترتيب والروابط التى توجد فى أقسام التدريس المنظمة وقد أتيح لنا فى هذا العام أن ننظم قسما للآداب جعلنا أساس التعليم فيه بلغة البلاد

ويشتمل هذا القسم الآن على عشر مواد منها ثمانية واجبة تدرس باللغة العربية واثنتان اختياريتان تعلم أحدهما باللغة الانكليزية والثانية باللغة الفرنساوية وهذا بيان تلك المواد وأسماء الاساتذة الذين يقومون بتدريسها :

أسماء العلوم	أسماء الاساتذة
الدروس الواجبة :	
١ ـ آداب اللغة العربية	الاستاذ الشيخ محمد المهدى المدرس بمدرسة القضاء الشرعى
٢ ـ تاريخ آداب اللغة العربية... ...	الاستاذ الدكتور نلينو المدرس بجامعة بالرم
٣ ـ مقارنة اللغات والآداب السامية	الاستاذ الدكتور ليتمن المدرس بجامعة سترا سبورج
٤ ـ تاريخ الشرق القديم	الاستاذ الدكتور ملونى (توفى أخيرا)

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

٥ ـ تاريخ الامم الاسلامية سيما تاريخ مصر فى العهد الاسلامى	الاستاذ الشيخ محمد الخضرى وكيل مدرسة القضاء الشرعى
٦ ـ الفلسفة العربية وعلم الاخلاق	هذه العلوم أوقف تدريسها فى هذا العام
٧ ـ تاريخ المذاهب الفلسفية	
٨ ـ تقويم البلدان ووصف الشعوب	

الدرسان الاختياريان :

٩ ـ تاريخ آداب اللغة الانكليزية ...	الاستاذ المستر برسى وايت
١٠ ـ تاريخ آداب اللغة الفرنسية ...	الاستاذ المسيو ج . ڤيانيه المدرس بجامعة مونپلييه

ويظهر لحضراتكم من هذا الجدول ان ثلاثة من هذه العلوم أوقف تدريسها مؤقتا نظرا لاستقالة الاساتذة الذين كانوا يقومون بالقائها وان درس تاريخ الشرق القديم عطل تدريسه من ابتداء شهر مارس سنة ١٩١٢ بوفاة المأسوف عليه الدكتور ماونى

ولقد تبودلت بين دولة الامير احمد فؤاد باشا رئيس الجامعة أثناء رحلته بأوروبا وأفاضل المستشرقين مراسلات لانتدابهم للتدريس بالجامعة المصرية ويسرنا أن نذكر من بين هؤلاء الافاضل العالمين سنوك هرغرونى وجولد زيهر فالعلوم التى اوقفت فى هذا العام سيقوم بتدريسها فى العام المقبل من هم خير كفء لها

ومما يؤسف عليه أن عدد الطلبة المقيدين فى دروس قسم الآداب قد نقص نقصا محسوسا عن السنين الماضية ويرجع هذا النقص لجملة أمور أهمها انصراف الطلبة الى التوظف والاكتفاء بالشهادة الثانوية للحصول على هذه الغاية التى يسهل عليهم تحقيقها بنوال تلك الشهادة

ولذلك فكرنا فى ايجاد فائدة مادية لطلاب الجامعة تعمل مع الفائدة الادبية

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com